متعة السرد والحكايا

إضاءة على روايات عالمية

د. لنا عبد الرحمن

الكتاب : متعة السرد والحكايا .. إضاءة على روايات عالمية

الكاتبة: د. لنا عبد الرحمن

الطبعة : ٢٠١٧

الناشر : وكالة الصحافة العربية (ناشرون)



٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكور- الهرم – الجيزة

جمهورية مصر العربية

هاتف : ٣٥٨٢٥٢٩٣ – ٣٥٨٦٧٥٧٦ – ٣٥٨٦٧٥٧٥

فاكس : ٣٥٨٧٨٣٧٣

http://www.apatop.com E-mail: news@apatop.com

دار الكتب المصرية

فهرسة إثناء النشر

عبدالرحمن، لنا

متعة السرد والحكايا – د. لنا عبد الرحمن – الجيزة – وكالة الصحافة العربية، ٢٠١٦

.. ص ، .. سم .

تدمك : ٤– ٢٥٥ – ٤٤٦ – ٩٧٧ – ٩٧٨

أ. العنوان **رقم الإيداع / ١٧٩٩٣ / ٢٠١٦**

متعة السرد والحكايا

إضاءة على روايات عالمية





مقدمة

تساعدنا الحكايات على رؤية العالم الواسع.. على ملامسة نجمة بعيدة عبر شباك مفتوح في ليلة مقمرة.. على الهرب عبر قوة خلفية صغيرة لرؤية رقصات الغجر.

تمسكنا الروايات من أيدينا كي نمضي في ممرات غامضة بلا وجل، لنسترق السمع إلى حوار غامض بطله كازانوفا، العاشق الأبدي المغرور. نعبر النهر بحثاً عن غابة بعيدة، حيث البلورة السحرية والقط الأسود، وانشطار الذات في المرآة. نشهق من البكاء مع أحزان إيزابيل اللندي على فقد ابنتها باولا، نمسح دموعنا ترقباً لألف شمس ساطعة يحكي عنها خالد حسيني، لكن شموسه محجوبة بغيوم ثقيلة.

تحمل الروايات دعوة للوقوف على حافة هذا العالم المضطرب واكتشافه.. كم من رواية ساعدتنا على رؤية الجانب المظلم فينا..

وكم من رواية دفعتنا نحو بهجات مثيرة، وأخرى قادتنا للبكاء أو الجنون لأنها جسّدت تمثيلات لما عشناه يوماً.

حين كتب ماركيز مذكراته في "عشت لأروي"، كان ظل الرواية أعلى من صدى السيرة، قرأت سيرة ماركيز على أنها رواية لبطل يحمل نفس الاسم.. تضيع الحدود بين الحقيقة ومخيال الحقيقة في السيرة، وفي الرواية لا يمكن أن نميز بين الخيال والواقع.

ربما ليست هذه المقدمة التي أردتها لكتابي، الحديث بشاعرية عن الرواية.. لكن بعد تأمل دقيق وجدت أن هذه الشاعرية في رؤيتي للروايات لا تنفصل عن فنية ما أقرأ، بسبب قدرة الفن الروائي على احتضان سائر الفنون تحت عباءته.

يقول رولان بارت في كتابه لذة النص: "أحب النص لأنه عندي ذلك الفضاء اللغوي النادر حيث يغيب كل شجار، وتغيب أيضاً كل مماحكة لفظية .. لماذا يجد (بعض الناس وأنا منهم) في الأعمال التاريخية والروائية والسيرية لذة في مشاهدة عرض للحياة اليومية لعصر ما، أو لشخصية ما؟ لماذا هذا الفضول لمعرفة الجزئيات الصغيرة: المواقيت والعادات ووجبات الطعام والمساكن والملابس؟ أهو الذوق الاستيهامي للواقع؟".

إن رؤية بارت للنص تشكل حالة صوفية تتفرد في منح اللذة من العلاقة السرية بين القارئ والنص فقط، حيث لا ثالث بينهما –

وهذا حقيقي جداً– نحن نواجه الكلمات سطراً تلو سطر نمضي معها بعيداً جدا، في تأمل واسترقاق، في حب، وألم، في قبول ورفض؛ عالم آخر نعيشه أو نعايش فيه تجربتنا الفريدة في التلقي.

وإذا كانت هناك سمات خاصة في كل أدب ينتمي إلى حضارة معينة؛ لكن هناك تقاطعات مشتركة تجمع بين الآداب الإنسانية ، كونها تتحدث عن الإنسان بالمطلق، وإن تفاوتت نقاط التشابه، وتعددت ميزات الاختلاف، ولعل بروز هذا الشبه ينطلق من ظروف اجتماعية أو بيئية مشتركة، في أدب أميركا اللاتينية –مثلا– هناك تشابه مع بعض القضايا في أدبنا العربي؛ ففي حين تبدو صورة الصراع بين المدينة والريف باهتة في الآداب الأخرى، بسبب انفتاح الريف على المدينة أو قدوم المدنيين إلى الريف، يظل عنصر البيئة الريفية بسكانها المسحوقين والمستغلين من قبل الإقطاعيين والبرجوازيين يحتل حيزاً مهماً في الأدب اللاتيني، على سبيل المثال في رواية "صورة عتيقة" لإيزابيل اللندي تستخدم (باولينا) الفلاحين للعمل في أرضها بأجور زهيدة جداً، وفي أوقات الحرب تحتكر السكر كي تبيعه فيما بعد بأسعار مرتفعة، وحين تفكر في استثمار أموالها في بناء مستشفى تقول: "الطب تجارة عظيمة، لأن الجميع يمرضون". هذا إلى جانب العلاقة مع الأنظمة الديكتاتورية التي نجدها في العديد من روايات الأدب اللاتيني، مثل رواية "حفلة التيس" لماريو بارباغاس يوسا.

ومع كاتب مثل موراكامي نجد قضايا مختلفة، موضوعات في ظاهرها مألوف، لكنها تتقاطع مع قضايا شائكة وافتراضات كونية غامضة تبحث عن أدلة وإجابات على وجودها. هذه الموضوعات موجودة في "كافكا على الشاطئ" مع الصبي الصغير "كافكا" الذي يخوض مغامرات مثيرة وتجارب تتجاوز حيز القدرات العقلية العادية للأشخاص، إنها تيمة يمكن تلمسها أيضاً مع بطل "جنوب الحدود غرب الشمس" الذي يتكل على الفلسفة في نظرته لقضايا حياته.. يذكر أنه ينتمي لجيل جديد من الأدب الياباني المعاصر الذي يختلف في تقنيات كتابته عن الأدب الياباني الكلاسيكي المعروف عند كاواباتا وميشيما.

أما الكاتبة الصينية "وي هيوي"، فإنها في رواية "الزواج من بوذا" لا تبتعد كثيراً عن الأفكار التي طرحتها في روايتها الأولى "شنغهاي بيبي"، لكنها في "الزواج من بوذا" تتمكّن من إظهار حرفتها الروائية بشكل تقني أكثر مما هو في الرواية الأولى.

تناولت آسني سييرستاد في "بائع الكتب في كابول" المبنية على أحداث واقعية حياة عائلة أفغانية تعيش في كابول، حاولت الكاتبة النرويجية تدوين تفاصيل دقيقة عن واقع الحياة اليومية لأسرة من قلب المجتمع الأفغاني. "بائع الكتب في كابول" نص يمزج ما بين الرواية والتقرير الصحفي والسيرة، حيث تحكي الكاتبة عن

"سلطان خان"، بائع الكتب الذي حافظ على التراث الأدبي الأفغاني من الضياع في خضم الصراعات السياسية المتعاقبة على بلاده.

وفي روايتها "تدبير منزلي" تخوض الكاتبة مارلين روبنسون في عالم متشابك، يظن القارئ للوهلة الأولى أنه سيغوص أكثر في عوالم النساء بكل أبعاده، لكن هذا غير صحيح تماماً، ثمة ما هو أبعد من تفاصيل عوالم النساء، إلى فكرة الاغتراب الداخلي داخل بيت العائلة. إنه الاغتراب الذي يطيح بكل الأشياء جانباً، ويلقي بها إلى النار بهدف الانطلاق نحو عالم الرحيل، التشرّد هنا لم يكن مفروضاً، بل محض اختيار تقوم به البطلات؛ بطلة تلو أخرى تختار الفرار من عالم البلدة الضيق؛ بحثاً عن فضاء رحب، بغض النظر عما يمكن أن تواجهه من صعاب، تضطرها أحياناً للتخلي عن أطفالها، لأن التوق للرحيل يظل غالباً، ومسيطراً على النص حتى في أعمق لحظات الاستقرار.

وعبر التفاصيل الدقيقة للحياة اليومية، تتمكن الكاتبة الإسبانية روسا ريغاس في روايتها "أزرق" من تتبع اللحظات الأولى لانبعاث الوهج العشقي بين بطلين، امرأة متزوجة وشاب يصغرها بأعوام، ترصد الكاتبة ولع العشق، وما ينتج عنه، ثم انطفاء جذوته.

في "جيشا" يستند المؤلف آرثر غولدن بشكل جزئي إلى المعلومات التي حصل عليها من ايواساكي (جيشا)، وهي راقصة

ومغنية يابانية معتزلة تعيش حياة هادئة مع زوجها وابنتها في إحدى ضواحي كيوتو في اليابان، وقد زارها المؤلف وطلب إليها مساعدته في التحضير لرواية تتناول حياة فتيات جيشا، كي ينقل صورة حقيقية وواقعية عن مهنتها، مما شجعها على استضافته في منزلها مدة أسبوعين، كشفت النقاب خلالهما عن أدق التفصيلات الحميمة التي عرفتها كجيشا.

"الرحلة إلى الشرق" عنوان رواية لهرمان هسه، يلخص تجربة حياتية معاشه في البحث عن روح الشرق الحقيقية، في عالم غرائبي يمزج السحر الشرقي وخرافاته وأساطيره مع التغيرات النفسية والروحية التي تطرأ على أبطال الحكاية، من جراء اقتحامهم لعالم يختلف تماماً عما ألفوا الحياة فيه، وليس بمستغرب على هرمان هسه الحائز على جائزة نوبل للآداب في عام ١٩٦٢ أن يقتحم عالم الروح بكل تناقضاته المثيرة، إذ كان "هسه" على صلة وثيقة بعالم الهند، وتأثر بالفلسفات الشرقية، وحين سُئل مرة عن أهم المؤثرات في حياته قال إنه "روح بيت أبوي المسيحية، واللاوطنية أبداً" و"قراءة الروائع الصينية" و"شخصية المؤرخ جاكوب بركهاردت".

وفي "يوميات قاتل عاطفي"، وهي رواية قصيرة برع لويس سبولنيدا في تقديم حبكة ضمن إطار درامي مشوق، يرتبط ويتباعد

ضمن خيوط متعدّدة، إنما متقاربة وعلى التوازي نفسه تُدخلنا القصة مباشرة إلى تفاصيل حياة البطل الذي يعمل كقاتل محترف لمدة تتجاوز خمسة عشر عاماً، مما جعله كفؤاً للقيام بأصعب المهمات وأدقها.

في بعض هذه القراءات تناولت لبعض الكتاب أكثر من عمل روائي، وذلك يرجع لأن زمن الكتابة عن العملين كان متباعداً، ورأيت أنه من الأشمل تضمين العملين بهدف تقديم فكرة أوضح عن مسيرة الكاتب.

إن تجربة الكتابة عن روايات من الضفة الأخرى للعالم تحمل في ثناياها تجربة ارتحال وسفر، اكتشاف لجغرافيات جديدة، لتواريخ، لعادات غريبة، حيث متعة حكايات حقيقية ووهمية عن أرواح تسكن بجانب نهر يشق طريقه في حقول شاسعة، وعرافة عجوز تغني لعابري السبيل وتقرأ لهم الطالع؛ مع كل رواية هناك تجربة مختلفة، وحياة طويلة تكشف أسرارها خلف السطور.

د. لنا عبد الرحمن



إيزابيل .. هكذا وقعت في حب زورو مرة أخرى

في أحد أيام آب "أغسطس" ٢٠٠٣ طرقت مجموعة من الغرباء باب منزل إيزابيل الليندي في سان فرانسيسكو، وحينما فُتح الباب الخشبي ظهرت من خلفه امرأة ذات عينين صغيرتين لامعتين وبشرة ناعمة يصعب أن تحدد عمرها، تحمل ملامحها شبها عابراً للصور الفوتوغرافية التي ظلت تزين كتب الليندي طوال العشرين سنة الماضية.

قال الغرباء: نحن نملك حقوق النشر لشخصية زورو .

ردت إيزابيل: ماذا؟ ما الذي تطلبونه مني؟

كان في مقدمة الغرباء "جون جيرنز" الذي اشترى والده عام ١٩٢٠ حقوق ملكية شخصية زورو من مؤلف الرواية الأصلية المتواضعة في قيمتها الأدبية، وعمل بالاشتراك مع ديزني على تطوير وابتكار المزيد من التجسيدات للرجل ذي القناع من خلال المسلسلات التليفزيونية والكتب الفكاهية والأفلام، قبل أن يعود جيرنز ليشتري حقوق استغلال الشخصية لنفسه فقط.

وجد جيرنز أن زورو قد ظهر في أفلام وعروض تليفزيونية ومسلسلات كوميدية كثيرة، فيما عدا الأدب الجاد الذي لم يتناول

شخصيته على الإطلاق، ومن ثم بدأ البحث عن كاتب مدفوع الأجر، شخص ما ليملأ الخلفية لشخصية زورو في سنواته المبكرة، شخص ما مثل زورو نفسه يكون قد عرف كاليفورنيا جيداً ويستطيع أن يفكر بالإسبانية، شخص يكون له باع في البحث التاريخي، ويستطيع أن يستحضر الحساسية اللاتينية في ثنايا الأسطورة المكسيكية الأمريكية، لكل هذه الأسباب طرقوا باب إيزابيل الليندي.

تجلس الكاتبة في غرفة الاستقبال بمنزلها أسفل لوحة تتناثر السحب في خلفيتها تشرح الأمر: لقد قلت "ما هذا الذي تتحدثون عنه؟ إنني كاتبة جادة".

لكن الزائرين بدلاً من أن يعتبروها إجابة بالرفض تركوا صندوقاً مليئاً بالأعمال الفنية، التي تتناول زورو من شرائط لأفلام قديمة ومسلسلات فكاهية وتسجيلات تليفزيونية، حيث تقول الكاتبة بلغة إنجليزية مرتبكة: وهكذا وقعت في حب زورو مرة أخرى ذلك، لأنني كنت أحبه حينما كنت طفلة، فهو أبو باتمان وسوبر مان، إنه أبو كل أبطال الإثارة أصحاب الشخصيات المزدوجة، إن معظم هؤلاء الأبطال لديهم القدرة على استخدام الخدع السحرية، بينما زورو وحده لديه مهاراته الخاصة، وهي لا تفضل أن تشير إلى عملها على أنه عمل تجاري، فقد قالوا لها إنه عرض، نحن نملك الشخصية وأنت تملكين الموهبة لكتابة هذا الكتاب، فهل يهمك هذا؟ فقالت لهم: "أوافق على أن نمضي في هذا الأمر مناصفة. وهذا ما حدث بالفعل".

أن يكون المرء كاتباً مستأجراً لكتابة شيء ما، هذا هو الأمر الذي قاومته إيزابيل الليندي فيما سبق، فهي لم تقتنع بأن تكتب قصة عمها سيلفادور الليندي رئيس شيلي السابق الذي اغتيل في انقلاب عام ١٩٧٣، وقالت:" أنا لا أظن أنه بمقدوري أن أكتب رواية عنه، فسوف تكون بمثابة سيرة ذاتية، وأنا لا أجيد هذا.. لست أنا الشخص المناسب فأنا صحافية فاشلة، لأنني لا أستطيع أن ألتزم بالحقائق المجردة، وأشعر أنه ينبغي عليّ أن أزينها" .

تعتبر إيزابيل الليندي من أكثر كاتبات "تشيلي" شهرة وإثارة للدهشة، فهي لا تتوقف عن إثارة فضول قارئها سواء عبر اختيارها للموضوعات التي تكتبها أو عبر مزجها بين الواقع، والأسطورة، والخيال، لتسير بذلك على نهج كتاب أمريكا الاتينية في افتتانهم بما يسمى "الواقعية السحرية"، أو عبر كتابة نوع أدبي جديد مختلف تماما عن نسق روايتها السابقة كما فعلت في ثلاثية روايات الفتيان "مدينة البهائم" "مملكة التنين"، و"زورو"، حيث توجهت إلى جمهور الشباب بروايات يمتزج فيها السحر مع المغامرة والدعابة والطبيعة، تغوص في أعماق الإنسان من خلال شخصيات مغامرة تنتمي إلى أجيال وأمزجة متباينة.

ترجمت أعمال الليندي لما يزيد عن عشرين لغة توصف بأنها "منقوعة بالأسطورة"، فقد تربت على كتاب ألف ليلة وليلة، حين كانت تطالعه سرا عن والدتها وهي صغيرة، تؤمن بعمق بفكرة أن العالم هو مكان بالغ الغرابة، وأننا لا نملك كل الإجابات لما يحدث فيه.

في عام ١٩٧٤ فرت الليندي مع عائلتها من وطنها الأم شيلي.. ووصلوا إلى فنزويلا، حيث تفتحت عيناها كما تقول: إن فنزويلا مكان بري كثيف الخضرة، يختلف تماماً عن شيلي. هو بلد استوائي ومن ثم تتوافر له تلك الطاقة أو الحيوية التي نفتقدها في شيلي إذ إن شيلي بلد مكبوت ومقيد، لقد عثرت هناك على الصوت الذي ما كنت سأجده لو مكثت في شيلي.

أسست الليندي عملها الروائي الأول "بيت الأرواح"[(١)] على رسالة كتبتها إلى جدها المريض.. لقد كانت صوتاً مميزاً دوى في المعبد الذكوري الشامل لأدب أمريكا اللاتينية، وربما لا يوجد مفر من تصنيفها كإحدى العلامات البارزة في الواقعة السحرية، إذ إن مجرد ذكر اسمها يستدعي بالضرورة اسم غابرييل غارسيا ماركيز.. فقد أصبحت رواية "بيت الأرواح" مع روايتي "ابنة الحظ" و"صورة عتيقة" ثلاثية روائية لا تنفصل، كما اتسمت رواياتها الأخرى بما فيها "ايفالونا" و"الحب والظلال" بالخاصية نفسها في الدمج بين التاريخ الشخصي والعام وهي الخاصية التي ميزت ظهورها الأول.

إن الليندي شغوفة بعوالم الخرافة ومتشبعة بالمنهجية، فهي دائماً تبدأ في كتاب جديد في ٨ كانون الثاني (يناير) وهو التاريخ الذي بدأت فيه كتابة "بيت الأرواح"، وتعمل ساعات طويلة بمفردها في مكتبها الذي يطل على حمام السباحة في الحديقة الخلفية لمنزلها، ويحتل مكتبها الغرفة الأساسية وإلى جانبه توجد حجرة للصلاة بها وسادة موضوعة على الأرض، وفي الصدارة على مكتبها تضع صورة فوتوغرافية لابنتها باولا،

حينما كان عمرها ٢٧ عاماً قبل أن تموت بعامين في سنة ١٩٩٢ بعد أن قضت عاماً كاملاً في غيبوبة. تقول إن زوج ابنتها المتوفاة تزوج من امرأة تشارك ابنتها في تاريخ الميلاد.. كتبت الليندي كتابا عن ابنتها لكي تسجل لحياتها من ناحية، ومن ناحية أخرى لكي تخفف من آلام فقدها، لكن الجراح ظلت باقية، تقول: لقد كنت متشبثة بها، لكن الحقيقة هي أن المخ كان قد مات، وكان علينا أن نغذيها من خلال أنبوبة، قال الأطباء إنها لا تعاني لكن كيف يمكنني أن أصدق، وجاءت لحظة قرر الأطباء فيها أنه ينبغي أن ننزع الأنبوبة لكنني لم أستطع أن أفعل هذا لأنني كأم أنا المغذية، أنا التي أمدها بالحياة ".

تتصدر مكتب الليندي أيضاً صورتان فوتوغرافيتان لجدها وجدتها اللذين كانا بطلي رواية "بيت الأرواح" تصف هذه الرواية قائلة: لقد نشأت حقاً في بيت الأرواح، أو في الحقيقة هي تلك الأرواح التي كانت جدتي تعتقد أنها تستدعيها، من يعرف هل جاءوا بالفعل أم لا، هذا لا يهم فبدون نجاح "بيت الأرواح" ربما لم أكن اليوم كاتبة، ربما ظللت أعمل لأحاول كسب لقمة العيش وأعيل عائلتي وهو ما فعلته طوال حياتي، لكن نجاح الكتاب في الحقيقة أتاح لي أن أكتب كتاباً ثانياً: ثم مع الكتاب الثالث استطعت أن أترك وظيفتي اليومية وأصبح كاتبة .

لعل ما جعل الليندي تشعر بالبهجة حين طُلب منها أن تكتب "زورو"[٢] هو أنها أحست أن كتابة زورو تناسبها، فقد قالت: إنها تبتعد بي تماماً عن الاكتئاب، فأنا أجد متعة كبيرة في كتابتها ولم تشكل لي

أي ضغط أو توتر، رغم أن الناشر الخاص بي شعر بالرعب، لقد شعر الجميع بالخوف لماذا ينبغي عليّ أن أفعل هذا؟

ربما توقعوا مني أن أرتدي القناع والعباءة وأشرع في المبارزة بالسيف .

إن نظرتها إلى بدايات زورو كطفل هجين من اختلاط البعثات التبشيرية في كاليفورنيا مع الهنود، هي الأساس في تحول الرواية، وهي الثوب الجميل الذي ستلبسه لها، كي تغطي على كل المبارزات العنيفة والمغامرات المقيتة للأعداء الجبناء ضد التيارات الرئيسية للتاريخ الأوروبي للقرن الثامن عشر، وبزوغ أغنياء العالم الجديد وتظل القصة كما تحكيها نوعاً من الفانتازيا الصاخبة، حيث تقول الليندي: أحيانا، يجرون معي مقابلات عن زورو بتركيز شديد وجدية تامة، وأنا أقول لهم انظروا نحن نتكلم عن زورو وليس عن تشي جيفارا، فاهدأوا .

لقد كانت قصة زورو ملكها لتخترعها كيفما شاءت لقد طبقت عليها التقنيات التي تستخدمها في سرد ذكرياتها الأثيرة.. وبعضاً من السحر، على الرغم من أن ذكر الواقعية السحرية يجلب التوبيخ في هذا المقام، فهي تقول إن الواقعية السحرية ليست مثل الملح الذي تستطيع أن تنثره على كل شيء، فأنا كتبت ما يزيد عن ١٥ كتاباً ولا توجد عناصر الواقعية السحرية إلا في القليل منها فقط، لكن ولسبب ما فإن كتاب أمريكا اللاتينية هم الذين ينقبون عن هذه العناصر لكوني مصنفة تبعاً للواقعية السحرية، بينما الواقعية السحرية هي في الواقع مجرد القبول بفكرة أن العالم هو مكان بالغ الغرابة، وأننا لا نملك كل الإجابات .

عاشت الليندي مثل زورو حياة بدوية، ومثله هي راحلة عن وطنها تقول: كنت دائمة الترحال؛ لأنني ابنة لوالدين دبلوماسيين ومنفية سياسية ومهاجرة، لذلك لا أعتقد أن لي جذورا بالمرة فأنا أستمد جذوري من الكتب ومن اللغة، وليس المكان على الإطلاق، وأظن أنني مثال جيد لما تكونه كاليفورنيا إنها الهجرة والتنوع وأنا محظوظة لأنني مواطنة شرعية في هذا البلد، وأنا رئيسة نفسي والمتصرفة فيها ولست مضطرة إلى تنظيف دورات المياه. إنها أمة داخل أمة.. إنها العبودية تحت مسمى أفضل.

وتستطرد الليندي قائلة: إن طاحونة النجاح يمكن أن تربك الكاتبة، حيث تتداخل الأشياء، فأنا الآن أكتب عن زورو، لكنني أكتب كتاباً آخر وأشرف على ترجمة كتاب ثالث، وفي الحقيقة إن ترجمة كتبي إلى أكثر من ٢٧ لغة تعني أنه يوجد كتاب قديم لي يصدر للمرة الأولى في أماكن مثل تركيا، لذلك أجد صحفيين يأتون إلي هنا ويجرون معي مقابلات عن كتاب "ايفالونا" الذي كتبته منذ أكثر من عشرين عاماً مضت، وبالتالي أتأكد كم أنا أكرر نفسي فالشخصيات لها أسماء مختلفة لكنها كلها الشيء نفسه .

إنها تضحك من نفسها ضحكة صافية، بحيث يتخيل المرء أنها تقضي وقتاً طويلاً وهي تضحك حتى حينما تكون الكاتبة الجادة منهمكة في العمل، تقول أعتقد أنني أعيش كثيرا مع ذكريات لبعض الناس الذين رحلوا عن عالمنا أو غابوا عنا، لذلك فهناك الكثير من الذكريات تحيط بحياتي. ثم تعود إلى العائلة وتقول: قالت لي مرة حفيدتي، أنا لدي تخيل

عظيم، فقلت لها وما هذا التخيل العظيم؟ فقالت لي أن تتذكري ما لم يحدث أبداً .

تضحك الليندي مرة أخرى وهي تقول: أظن أن هذا هو ما يميز حياتي ويحدد مسارها .

حصيلة الأيام

"العائلة تعطينا الأمن والرفقة والحماية وتثير أعصابنا، لكنني لا أستطيع العيش من دونها"..

هذه هي العبارة التي توردها الليندي في كتاب مذكراتها "حصيلة الأيام"[٣] إنه كتاب يندرج ضمن فئة السيرة الذاتية أو المذكرات الشخصية، كتاب يعلي من شأن الترابط الأسري، الذي يبدو غير مكرس له هذا القدر من الاهتمام في المجتمع الغربي، لذا فإن المشهد الأول يبدأ مع عائلة الليندي وهي مجتمعة لإحياء الطقس الخاص بنثر رفات ابنتها باولا.

وانطلاقاً من هذا الحدث تبدأ الكاتبة باستعراض سائر المحطات والتبدلات التي شهدتها العلاقات العائلية، لكن هذا الكشف للعلاقات العائلية لا يخلو أبدا من المفاجآت المدهشة حد الذهول، إنه عبارة عن رواية الكاتبة للأحداث والحكي بصدق متناهٍ عن أكثر المواقف حساسية في حياتها، إنها تصف مذكراتها قائلة: «حصيلة الأيام عبارة عن مذكرات ذاتية للغاية، على غرار جميع المذكرات الأخرى. تقول: "إنها روايتي الخاصة للأحداث التي تتقاطع بدقة مع روايات أفراد أسرتي الآخرين

الذين يشكلون شخصيات هذا الكتاب، ابني نيكو وامرأته انفصلا عن بعضهما وطلقت لأسباب غاية في الطرافة، وأصبح لكل منهما زوج آخر، أما بالنسبة لزوجي ويلي، فلقد توفيت له ابنة بينما ولدت له حفيدة في ظل ظروف مأساوية".

لكن هذه المحاولة لكتابة المذكرات الشخصية لم تكن الأولى بالنسبة لايزابيل اللندي، بل تُعتبر الثالثة، بعد أن روت جزءا من مذكراتها في "باولا" الذي كشفت فيه عن رحلة معاناتها الأليمة خلال احتضار ابنتها، ثم كتبت جزءا آخر من سيرتها الشخصية والوطنية في كتابها "بلدي المخترع" الذي ارتكزت فيه أكثر على كشف علاقتها مع وطنها تشيلي الذي غادرته إثر الانقلاب العسكري الذي قام به بيونشيه على الحاكم سلفادور اللندي.

إن حياة المنفى، والتنقل بين أكثر من بلد ترك انعكاسا إيجابيا على كتابات اللندي وشخصيتها، مما جعل جذورها مزروعة في الكتب لا على أرض محددة، من هنا هي لا تتردد في القول: «لا أعتقد أن لي جذورا بالمرة فأنا أستمد جذوري من الكتب ومن اللغة وليس المكان على الإطلاق، حيث يكون زوجي وأسرتي، يكون موطني. وأنا أذهب إلى تشيلي مرات عديدة في السنة، وأشعر أن لي قدما هناك وأخرى هنا، لكن الحقيقة هي أن جذوري ضاربة عميقاً في كتبي أكثر مما هي عليه في أي مكان جغرافي في العالم".

أفروديت ومآدب الغرام

ما العلاقة بين الحب والطعام، بين الشغف ورائحة الفاكهة والحكايات، بين الوله وتراب الأرض التي تقدم لنا كل الثمر؟

في كتابها" أفروديت حكايات وصفات وأفروديات أخرى"[٤] تُشكل الليندي خلطة سحرية تقوم توليفتها على اكتشاف العلاقة السرية والغامضة بين الطعام والرغبة كعامل أساسي للحب. تستحضر الكاتبة خلطات ووصفات على مر العصور المختلفة في التاريخ الذي يصل ما بين الثقافات المصرية القديمة واليونانية والرومانية، عطفا على الهندية واليابانية والثقافة العربية الإسلامية، لتكون النتيجة كتابا موسوعيا في الحب وفي الاستمتاع الحسي الذي تثبت اللندي بعد جولاتها في الثقافات أن هناك لغة مشتركة بين كل شعوب الأرض.

قرأت الليندي من الثقافة العربية كتاب "ألف ليلة وليلة" و"الروض العاطر" و"الكاماسوترا" الهندية، استدعت عادات وتقاليد مختلفة عند قبائل أفريقية، عادت بقصص من أيام الإمبراطورية اليونانية، وجاءت بوصفات غامضة للنشوة، وهي عبر صفحات الكتاب كلها تؤكد أنها لا تفصل الطعام عن الحب، إنها تقوم بإعادة تأهيل القارئ لاستخدام حواسه مجتمعة بغاية تحقيق متعة متناغمة بين الذوق والرائحة، اللمس والنظر والسمع ليصل إلى تركيب وصفات أفروديتية تؤجج العاطفة وتستدعي الوله بين المحبين تقول: "تذكر أن تحضير الطعام المشترك هو عتبة للحب.. على الرغم من كتب الطبخ المنشورة سنويا، فإن ما كتب عن حاسة الذوق قليل جدا، لأن تعريف الذوق صعب، وصعوبة الرائحة

كلاهما روح له حياته الخاصة، شبح يظهر من دون دعوة ليفتح نافذة على الذاكرة ويقودنا عبر الزمن إلى حدث منسي، إن لذة أي طعم تبدأ في اللسان وسقف الفم، على الرغم من أنه لا يبدأ من هناك بل من الذكرى، وقسم جوهري من هذه اللذة يكمن في الحواس الأخرى"، لكن الكاتبة لا تكتفي بالحديث عن أثر الطعام وتقديم الوصفات للعشاق، لأنها تحكي عن لغة الأزهار التي تمتلك سحر نقل رسائل حب ذكية حتى أيامنا هذه، وعن تعويذة العطور، حيث النسيم ينبئ بوصول سفينة الملكة "كليوبترا"، لأنها تنقل عبق ورد الشام الذي تضمخ به هذه الملكة الساحرة أشرعة سفينتها. تسرد اللندي القصص التاريخية وهي تحكي عن أثر التوابل والأعشاب وأنواع الجبن الجيدة، وحلوى الجيلي، ووصفات عملية لطهي الطيور الكبيرة، وأيضا الحديث عن طرق السحر الأسود المستخدمة في الأزمان الماضية لاستعادة حبيب هجر.

تدافع الليندي في كتابها عن الحب بكل طقوسه، رغم تخصيصها صفحات طويلة لوصفات مطبخية لإشعال فتيل الرغبة، إلا أنها تقول "ليس هناك شيء أكثر أفرودينية من الحب".

في روايتها "أنيس حبيبة روحي"[(٥)] تعود اللندي إلى الكتابة التاريخية عبر رواية واقعية تجري أحداثها في البيرو، حيث ولدت بطلتها في تشيلي، حيث نشأت خلال القرن السادس عشر بعد الفتح الإسباني لأمريكا الوسطى والجنوبية.

الشخصية الرئيسية في الرواية هي "إنيس سوريز" وهي شخصية تاريخيية حقيقية كما تقدمها الكاتبة، إنها أرملة الدون (رودريغو دي

كويروغا) الفاتح والمؤسس لمملكة تشيلي، وقد عاشت في سانتيغو وبلغت قرابة السبعين من عمرها، ورغم أنها لم تكن تعرف يوم ميلادها فإنها ترجح ولادتها في إسبانيا عام ١٥٠٧ تقول: "أنا أنييس سواريث من سكان مدينة سانتياغو دي استراميديرا الجديدة في مملكة التشيلي، لست متأكدة بدقة من يوم ميلادي لكنني ولدت على حد قول أمي بعد الطاعون الرهيب الذي اجتاح إسبانيا عند موت الملك فيليبه الجميل".

"إنها رواية كتبت بالحدس.. كما أن أي تشابه بالأحداث والأشخاص عن فتح تشيلي مجرد صدفة".

" هكذا تقول الليندي في وصف روايتها، وتتابع "إن العمل البطولي لأنييس سواريز والمدون من قبل المؤرخين لحقبتها تم تجاهله لأكثر من ٤٠٠ عام".

لذا تحرص ايزابيل على تتبع حياة تلك المرأة ورصدها بخيط يتضفر فيه الخيال والواقع، لكن كما يبدو أن التقيد بذكر أحداث تاريخية معينة قد قيد الليندي أكثر مما أطلق لخيالها العنان، وتكاد تكون أفضل صفحات الرواية إبداعا عندما تتذكر إنييس زواجها من "خوان دي مالاغا" تقول: "إنه واحد من الرجال الوسيمين الذين ليس بمقدور أي امرأة مقاومتهم، لكن فيما بعد تتمنى لو أن امرأة أخرى حظيت به لأنه من النوع الذي يسبب الكثير من المعاناة".

في عام ١٥٤٠ و١٥٤١ تسافر بطلة الرواية إنيس من إسبانيا إلى البيرو للبحث عن زوجها الذي سافر إلى العالم الجديد للبحث عن

الكنز، لكنها تكتشف موته، وبالتالي تعود إليها حريتها، لقد مات زوجها في الحرب إلا أنها ترفض العودة إلى إسبانيا وتصر على البقاء في مدينة كوسكو في البيرو لتلتقي مع رجل حياتها الذي ستحبه كما لم تحب من قبل، إنه بيدرو الذي سيذكر التاريخ مآثره البطولية في المعارك، لكن بيدرو يموت ميتة مريعة تاركا خلفه المرأة التي أحبته، لكن "أنيس" لم تيأس بل تدخل في علاقة مع "رودريغو" والد ايزابيل التي تسرد على مسامعها الحكاية.

تروي إنيس قصتها لايزابيل ابنة زوجها الثاني، حيث تصف اللندي عمق العلاقة بين المرأتين قائلة "صديقتي الحميمة المؤتمنة على أسراري، الشخص الوحيد الذي يعرف خباياي.. أريد منك أن تتحلى ببعض الصبر يا ايزابيل، ستلاحظين قريبا أن هذا الاضطراب في السرد سيصل إلى لحظة يتقاطع فيها طريقي مع بيدرو دي فالديفيا حينها تبدأ الحكاية التي أريد أن أقصها عليك، قبل لقائي به كنت أعمل حائكة في بلاسينثيا مثل مئات ومئات النساء الشقيات اللواتي أتين إلى هنا من قبلي ومن بعدي، لكن مع بيدرو عشت حياة مختلفة وبنيت معه مملكة، صحيح أنني أغرمت برودريغو دي كوريغوا والدك وعشت معه ثلاثين عاما فإن السبب الوحيد لإبلاغك هذه القصة هو حكاية فتح تشيلي التي تقاسمتها مع بيدرو".

لكن هذه الرواية تحمل وجهتي نظر متناقضتين، فبينما تبدو بطولية من وجهة النظر الإسبانية، فإنها لا تعني شيئا للناس البسطاء الذين

ذبحوا واعتقلوا أو أخضعوا لسلطة شارلز الأول ملك إسبانيا. لا تحاول اللندي أن تموه على هذه الحقيقة التاريخية، ولا على جرائم الفاتحين مثل فرانسيسكوا بيزارو، وفرناندو كورتيز تقول: "بيزارو رجل في حوالي الستين من عمره، متعجرف، بجلد شاحب، ولحية رمادية، عيناه غائرتان يلمع فيهما بريق طموح، أما نبرة صوته فإنها عالية وغير مقبولة".

تخوض الكاتبة في وصف ملحمي للمعارك والحروب التي يخوضها الأبطال هذا الوصف الذي يرتبط بزمن يعود إلى القرن السادس عشر، يوضح قدرة الليندي على التخيل وعلى تتبع الحدث التاريخي في الحصول على وثائق تعزز فكرتها وتمنح خيالها الخصب شحنات قوية تمكنه من السرد، تقول "لم نكن قد أكملنا تنظيم صفوفنا عندما سمعنا صراخا لا يحتمل، يعلن عن هجوم الهنود. صرخات تبعث القشعريرة في البدن، تثير فيهم حماسة جنونية وتصيب أعداءهم بالشلل، كانوا آلافا مؤلفة، يركضون شبه عراة، بأقواس وسهام، وفؤوس وهراوي، يصرخون متهللين بقسوة مسبقة، أجهزت طلقات البنادق على الصفوف الأولى، لكنها لم تستطع وقفهم أو التخفيف من اندفاعهم. كانت رماح رجالنا تخترق الأجساد التي لها لون الطين والسيوف تقطع الرؤوس والأطراف، وحوافر الخيل تمزق المطروحين أرضا".

إن هذا الوصف الملحمي نجده في أعمال أخرى خاصة الروايات التي ابتعدت فيها اللندي عن الذاتية والواقعية، أي الروايات التي كانت أقرب للخيال مثل "مدينة البهائم" و"مملكة التنين "و"زورو وأنا".

إن هذا النسق من الروايات يكاد يكون متلامسا مع نوعية سلسلة كتب "هاري بوتر"، من حيث الولوج إلى عوالم عجائبية تقوم لحمتها الأساسية على فكرتي "الخارق والماورائي". لا أعني هنا أن اللندي عمدت إلى محاكاة هذا النوع من الكتابة بقدر ما سعت إلى الانفتاح على عوالم جديدة في كتابتها،لكن يمكن القول أيضا إن رواية "أنيس حبيبة روحي" تشكل بحد ذاتها نسقا جديدا مغايرا لا ينتمي لكتبها السابقة. إنه نسق تاريخي ملحمي، لا تاريخي ذاتي ينتمي للواقع القريب، ولا ينتمي أيضا للنسق العجائبي الذي ظهر في أعمالها الأخيرة، إذ تكاد اللندي تنفصل في هذا النص عن ذاتها وتبتعد تماما عن رصد العوالم التي كانت شغوفة برصدها أعني عوالم أسرتها وبطلات رواياتها الباسلات وهي لا تنكر ذلك، بل تقول في أحد حواراتها "وجدت أن أبطالي ينتقلون معي من رواية إلى أخرى".

إن خبرة الليندي الطويلة ومرانها في عوالم الكتابة أمور دفعتها للبحث عن آفاق وعوالم جديدة لترصدها، وتحكي عنها ربما لهذه الأسباب جاءت هذه التجربة التي تشكل توليفة من التاريخ والخيال والواقع في سرد ملحمي حرصت الكاتبة أن يكون ممتعا كسائر رواياتها مستندة في ذلك إلى براعتها في التشويق واستخدام خاصية "الحكي" التي تتميز بها كآلية فعالة في السرد .

يحفل هذا النص أيضا بالشخصيات الأنثوية كسائر رواياتها، حيث النساء لسن خارقات الجمال بل ذكيات وجريئات، هناك أميرة الأنكا التي تتزوج من أحد النبلاء، وسيسيليا وصيفة أنيس، وهناك أيضا

البطلة الرئيسية "أنيس" التي تخوض غمار البحار عبر سفينة تسعى وراء زوجها الذي رحل لاكتشاف العالم الجديد وتقوم بإظهار مهاراتها في الطهو على ظهر السفينة ثم في اكتشاف الماء في قلب الصحاري، وبذلك تنقذ الجنود من موت محتم، كما تقوم بإيواء المشردين وعلاج الجرحى وإزالة الأنقاض وإطفاء الحرائق، فالبطلة تمتلك ذات التيمات النفسية لكل بطلات اللندي، أي الشجاعة والقدرة على مواجهة مصاعب الحياة، كل ذلك في حبكة تنسج تاريخ التشيلي والبيرو مع قصص حب ومغامرات البحث عن الذهب في مدينة "الدورادو"، هذا البحث الذي ظهر قبلا في روايتها "ابنة الحظ" مع بطلتها "ألزا سوميرث"، لكن بطلتها "أنييس" تبدو أكثر جرأة إنها المرأة التي تشارك في فتح تشيللي، وتكون شاهدة على المعارك والحروب والدماء المراقة بهدف النصر، مما يدفعنا للتساؤل لماذا أرادت اللندي لروايتها أن تكون بطلتها امراة، وألا يأتي السرد عبر لسان رجل؟

إن السرد التفصيلي والدقيق للأحداث العادية منها والمحورية، بالإضافة لسرد تفاصيل الحروب وغيرها من التفاصيل المعاشة والممارسة يوميا ربما يبرره أن يكون واردا عبر لسان امرأة، هناك تيمات في السرد لا تفارق أسلوب اللندي في الكتابة وفي المواصفات النفسية للأبطال هذه التيمات كان من الصعب ذكرها لو جاء القص عبر راو غائب أو عبر لسان رجل. فالنساء القويات المحبات الباسلات والرجال الوسيمون الشجعان، يحضرون في كل رواياتها هناك صفات نفسية تستمتع اللندي في إسباغها على أبطالها، وتعزيزها لديهم بمواقف تؤكد هذه الصفات

المميـزة، لـذا اعتمـدت اللنـدي في روايتهـا علـى "أنـيس" كراويـة لكـل الأحداث من دون استخدام أي طرق أخرى في السرد كانت استخدمتها في رواياتها السابقة.

تعمـل «الليـنـدي» فـي رواياتهـا علـى إعـادة تـشكيل المـشاعر الإنـسانية المقولبـة مـسبقا لتوافـق الـشرائع والتقاليـد المتوارثـة، تفككهـا لتـشكلها مـن جديـد، تغـوص عميقـا فـي الـذات لتكـشف بـواطن الـروح وتحللها بدقة فنان خبر الحياة وعرف أسرارها ومفاتيحها السرية، وهي لا تكتفـي بالمـشاعر المكـشوفة والظـاهرة، بـل تتوغـل فـي ثنايـا التركيبـات المعقـدة فـي الـنفس البـشرية، حيـث جـرأة الكـشف والتأمـل والبـوح اللامحدود عن واقع صلف في حياة البشر وفي أعماقهم، واقع شرس وقاسٍ يزيده مرارة هاجس الفقر والتخلف والسلطة تلك العوامل التي تتحكم في حياة شعوب أمريكا اللاتينية.

والليندي في علاقتها مع أبطال رواياتها تحس أنهم يقومون بما يجب عليهم القيام به ولا جدوى من تدخلها لتغيير قراراتهم وهي تؤمن أن المرء لا يستطيع دوماً وضع نهايات سعيدة للقصص، لأن الكتاب سيصبح مثل رواية روسية صغيرة.

الهوامش :

(١) بيت الأوراح، إيزابيل الليندي، ترجمة صالح علماني، دار المدى، دمشق، ٢٠١٠.

(٢) زورو.. وتبدأ الأسطورة، إيزابيل الليندي، ترجمة: رفعت عطفه، دار ورد، دمشق، ٢٠٠٧.

(٣) حصلية الأيام، إيزابيل الليندي، ترجمة: صالح علماني، دار المدى، دمشق، ٢٠٠٨.

(٤) أنيس حبيبة روحي، إيزابيل الليندي، ترجمة: صالح علماني، دار المدى، دمشق، ٢٠٠٧.

(٥) أفروديت حكايات وصفات أخرى، إيزابيل الليندي، ترجمة: رفعت عطفه، دار ورد دمشق، ٢٠٠٠.

هاروكي موراكامي و"سبوتنيك الحبيبة"

"المهم ليس الأشياء الكبيرة التي فكر بها الآخرون، بل الأشياء الصغيرة التي فكرت بها أنت".. هذه العبارة المأخوذة من رواية "سبوتنيك الحبيبة" لهاروكي موراكامي تبدو حكمة أساسية يتكئ عليها هذا الكاتب الياباني في غالبية رواياته. إنها الرواية الرابعة المنقولة إلى اللغة العربية بعد "الغابة النروجية" و"جنوب الحدود غرب الشمس" و"كافكا على الشاطئ"، حيث يسير موراكامي على ذات النهج في الكتابة، مستندا إلى لغة بسيطة وموضوعات تبدو في ظاهرها عادية، لكنها تتقاطع مع قضايا شائكة وافتراضات كونية غامضة تبحث عن أدلة وإجابات على وجودها.

هذه الموضوعات التي وجدناها في "كافكا على الشاطئ" مع الصبي الصغير "كافكا" الذي يخوض مغامرات مثيرة وتجارب تتجاوز حيز القدرات العقلية العادية للأشخاص، هذه التيمة يمكن تلمسها أيضا مع بطل "جنوب الحدود غرب الشمس" الذي يتكل على الفلسفة في

نظرته لقضايا حياته.. يذكر أن موراكامي يُعتبر من ضمن الأسماء المرشحة لجائزة نوبل، كما أنه ينتمي لجيل جديد من الأدب الياباني المعاصر الذي يختلف في تقنيات كتابته عن الأدب الياباني الكلاسيكي المعروف عند كاواباتا وميشيما.

(١)

البطلة في النص هي "سوماير" لكن فعل الروي يتم عبر شخص آخر هو صديق سومايز، يعمل مدرسا للأطفال في المرحلة الابتدائية، وعلى الرغم من ظهور هذه الشخصية كما لو أنها من خارج الحدث الرئيسي إلا أن فعل القص من بدايته إلى نهايته يمسكه هذا الراوي مشكلا الحلقة الكبري التي تمسك بسائر الحلقات الأصغر، سواء كانت سومايز التي يحكي قصته معها، أو ميو الشخصية الأخرى التي يحملها موراكامي تساؤلاته الخفية عن العالم.

الراوي في "سبوتنيك الحبيبة" يعاني من حبه لسومايز، لكنه حب خفي ومكتوم لا يتمكن من التعبير عنه خوفا من فقدانها يقول "كنت أحب سومايز، انجذبت إليها من المرة الأولى التي تبادلنا فيها الحديث معا، ولم يعد هناك مجالا للتراجع. حاولت أن أخبرها مشاعري، لكن المشاعر والكلمات المناسبة لم يمكنهما التلاقي، لعل ذلك كان أفضل، ربما كانت ستسخر مني".. أما سومايز فهي بنت في الثانية والعشرين من عمرها، يتيمة الأم، تعيش مستقلة عن والدها، كل طموحها في الحياة أن

تكون "روائية" وهي من أجل ذلك تكتب باستمرار لكن من دون أن تتمكن من الوصول للحظة التنوير التي تجعلها مؤمنة بما تكتبه.

تعيش "سوماير" حالة قلق مستمرة حول مستقبلها ككاتبة يقول: "في عطلات نهاية الأسبوع، كانت سوماير تأتي إلى شقتي ومسودات رواياتها تملأ يديها، المخطوطات المحفوظة التي نجت من مذبحة إتلافها، مع ذلك كانت تشكل كومة كبيرة، كانت سوماير تعرض مسوداتها على شخص واحد في العالم كله. هو أنا. كتبت سوماير بعض الأعمال ببداية، وبعضها بنهاية، لكنها لم تكتب شيئا ببداية ونهاية".

لا يمكن لقارئ موراكامي أن يقف بسهولة على عقدة النص، وما إذ كانت نفسية أو واقعية، الملامح الأساسية لأبطال رواية "سبوتنيك الحبيبة" هي أنهم مثقفون، مهتمون بالكتب والموسيقى، يتبادلون خبراتهم ومعارفهم في هذه الحقول، وقد يتبادر إلى الذهن أن الأزمة النفسية التي تعاني منها "سوماير" تتركز حول الحب المثلي الذي يربطها مع "ميو"، وأيضا حول معاناتها ككاتبة.

منذ الصفحة الأولى يذكر موراكامي حكاية الحب التي خاضتها "سوماير" يقول في الأسطر الأولى من الرواية "في ربيع عامها الثاني والعشرين، أحبت سوماير للمرة الأولى في حياتها، حبا عميقا، إعصارا حقيقيا عصف عبر الحقول مسويا كل شيء في طريقه بالأرض، مُلقيا بها عاليا في الهواء. مزقها إربا وحطمها قطعا. كان من أحبته سوماير أكبر

منها بسبع عشرة سنة، ولعل من واجبي أن أضيف هنا أن من أحبته سوماير كان امرأة".

(٢)

يطرح موراكامي تساؤلاته المضمرة عن الأحلام، من أين تأتي وكيف تنتهي، ثم لم تؤثر على أيامنا إلى هذا الحد، وهل تحمل الأحلام رغباتنا الخفية في العقل الباطن، أم أنها قادمة حقا من جانب آخر في هذا الكون؟

موراكامي الذي يكتب بدقة وحرفية صانع الأرابيسك يركب قطعة بجانب أخرى لتكون لوحة فنية مبهرة. الكلمات الأولى للرواية، وما سبقها من صفحة بعنوان "سبوتنيك" تحدث فيها عن المركبة الفضائية التي أطلقها الاتحاد السوفيتي عام ١٩٥٧ ولم ترجع إلى الأرض، لا توحي أبداً بأن هذه التفاصيل ستحكم مدار الرواية، وستكون المحور الرئيسي للاحداث، لأن موراكامي بعد سرده لهذه التفاصيل ينتقل لوصف الحياة الواقعية لسوماير وما طرأ عليها من تغيرات بعد ظهور "ميو" في حياتها. حكاية الحب المثلي لم تكن محور الرواية، بل مجرد تفصيل يقود للحدث الأهم وهو اختفاء سوماير، في ظروف غامضة جدا ومن دون أن تترك أي أثر يدل على وجودها.

تنتقل سومايز للعمل برفقة ميو، ثم تغادران معا إلى جزيرة بعيدة في اليونان. تحاول سومايز التقرب من ميو، تعرض عليها حبها لكن ميو ترفض هذا الحب قائلة بأنها فقدت جزءا منها من زمن بعيد، ولو كانت

كالسابق لربما قبلت بعاطفة سومايرِ. تتحدث ميو عن انقسام في شخصيتها تعرضت له إثر حادث فقدت معه نصف ذاتها وصارت تعيش بذات منقسمة إلى نصفين، أحدهما رحل إلى عالم آخر، فيما النصف الثاني موجود في جسدها، لذا هي تحيا معذبة بالجزء المفقود منها. حدث ذلك حين حجزت ميو داخل دولاب دوار في مدينة الألعاب، تستمر اللعبة في الدوران وتقف في الأعلى عند زاوية تتمكن ميو من رؤية حجرتها عبر منظار، حينها ترى نفسها، أو شبحها برفقة رجل ما. هذه التجربة حطمت ميو، شطرتها إلى قسمين تفصل بينهما مرآة.

أما سومايرِ فتروي في مذكراتها التي يجدها البطل على جهاز الكمبيوتر حلما رأت فيه نفسها "تتسلق درجا طويلا لمقابلة والدتها الميتة، لكن حين تصل تعود أمها إلى الجهة الأخرى. ولم تستطع سومايرِ إيقافها، فتبقى واقفة على قمة البرج وهي محاطة بأشياء من عالم مختلف".

بين عالم الحلم الذي تكتبه سومايرِ، وبين الحادثة التي تحكيها ميو عن انقسامها إلى شخصين، وتحول شعرها بالكامل إلى اللون الأبيض بعد تلك الليلة، هناك تداخلات شتى يطرحها الراوي حول حقيقة ما حدث لكل أبطال الرواية (هو– سومايرِ– ميو).

يقول "لقد ذهبت سومايرِ إلى الجهة الأخرى – هذا سيفسر الكثير– دخلت سومايرِ، ورحلت إلى العالم الآخر لمقابلة ميو التي هناك. بما أن ميو التي في هذا الجانب رفضتها، ألا يبدو صنيع مثل هذا شيئا منطقيا."

(٣)

يتوقف موراكامي بالتفصيل عند عالم الأحلام قائلا عبر كتابة سوماير: "ما الذي ينبغي عمله لتجنب الاصطدام؟ منطقيا الأمر سهل. الجواب هو الأحلام. الاستمرار والاستمرار في الأحلام. ولوج عالم الأحلام وعدم الخروج منه أبدا. العيش هناك ما تبقى من العمر" .

يركز الكاتب على مراقبة الجزء المجهول من الذات، يحاول الكشف عنه، والغوص لما وراء الظلام الكامن في البقع الضبابية المعتمة من النفس البشرية، لكن متعة قراءة كاتب عظيم مثل موراكامي واكتشاف عوالمه الغامضة لا تكمن فقط في مقدار الدهشة المخبوءة بين السطور وإحساس القارئ أنه غير قادر على التنبؤ بالحدث، بل في عدم القدرة أيضا على التميز أين بدأ الحلم، وأين انتهى، أين كان الواقع، ومتى بدأ الخيال. يجبرنا موراكامي على التحديق في أعماقنا، في أماكن لم نخمن وجودها من قبل. إنه يكتب عن الظلام الحالك الذي يسكن في النفس البشرية، فلا يمكن سبره بسهولة. ظلام ملتهب في أعماقنا تعلن عن وجوده سخونة قشرته الرقيقة التي تخفي في نواتها حمم على وشك الانفجا.

– سبوتنيك الحبيبة، هاروكي موراكامي، ترجمة: صلاح صلاح، المركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠٠٨.

" ألف شمس ساطعة".. الحب والتسامح

يمكن القول إن القوة الروحية للمرأة تشبه برعماً أخضر ينمو وسط الدمار الكامل. هذا التشبيه يبدو الأمثل بعد قراءة رواية "ألف شمس ساطعة" للكاتب الأفغاني خالد حسيني الذي كتب : "عداء الطائرة الورقية" وتم تحويلها إلى عمل سينمائي.

تتلاشى في هذه الرواية المقولات بشأن وجود مميزات للأدب النسوي، يمكن للمرأة فقط أن تكشف عنها.. فالرواية التي اختار لها الكاتب بطلتين؛ يخوضان غمار حياتهما وسط عالم من التشدد، العنف، الصخب، والتحولات السياسية والاجتماعية، تكشف خبايا أفغانستان مع كل فعل يقوم به الأبطال، وفي كل خطوة يخطونها داخل البيوت، أو في الشوارع الواسعة أوالضيقة والمتربة. وتتكشف أيضاً هيمنة النظام البطريركي وسلطته، ووقوع الرجل – أيضاً– في قبضة نزاع سياسي سواء في الحقبة الشيوعية، أو في ظهور المجاهدين وأمراء الحرب، ولاحقاً مع حكم طالبان، وفي كل هذه المراحل بدت البلاد أنها تمضي إلى حتفها ولا سبيل للنجاة. تحكي الرواية عن وقائع الحياة وسط الحروب، وكيف لا تخلو قصة أفغانية من موت وفقد وحزن يفوق الخيال، ومع ذلك يجد الناس طريقة لمواصلة الحياة.

اختار حسيني في "ألف شمس ساطعة" أفغانستان زمن السبعينات، ويستمر السرد حتى عام ٢٠٠٣. يحكي قصة مريم، وليلى، وكيف يتقاطع مصيرهما تحت سقف واحد. وتنسج بينهما علاقة من الرحمة والمحبة تجرف أي نوعٍ من الكراهية. وتبدو من خلال حكايتهما حكايات كثيرة أخرى لنساء أفغانيات يتضح مدى المعاناة التي يقل وجود نظير لها في التاريخ الحديث، كيف تُحرق أعمارهن ويسلبن الفرح والأحلام، والقدرة على البوح. يقول حسيني: "لطالما كانت هناك فجوة حضارية بين كابل الإصلاحية الليبرالية وأفغانستان الريفية، الحقيقة المحزنة هي أن قمع النساء على الطريقة الطالبانية في بعض مناطق أفغانستان كان موجوداً حتى قبل زمن طويل من وميض طالبان كفكرة في الأعين الحنون للاستخبارات السرية الباكستانية، فيما كانت كابل نسبياً مركزاً للاستقلال الأنثوي، ظلت أفغانستان الريفية خصوصاً الجنوب والشرق بطول الحدود مع باكستان منطقة قبلية يسودها النظام البطريركي".

يبدأ حسيني القص من حكاية مريم، مستدرجاً القارئ بلغة سلسة ومشوقة وجذابة إلى تفاصيل بسيطة تبني حبكة محكمة تشق مسارها في مدينة "هِرات" مع جليل الرجل الثري المتزوِج من ثلاث نساء والذي يعتدي على خادمته وينجب منها "مريم"، وكي يتجنب جليل تأنيب الضمير فإنه يبني للخادمة وابنتها كوخاً على أطراف البلدة، ويحضر لزيارتهما كل أسبوع.

تقرر مريم في لحظة اشتياق زيارة والدها في "هِرَات" المدينة، وما أن تغادر حتى تنتحر والدتها شنقًا، لأنها تعتبر وجودها مقترناً بوجود مريم؛ فتنتقل الفتاة غير الشرعية إلى منزل جليل؛ وخلال أسبوع ترتب زوجات جليل الثلاثة زواج مريم من رجل بشتوني يُدعى رشيد، يعيش ويعمل في العاصمة كابول. يجبر رشيد زوجته مريم على ارتداء البرقع، في حين يخبئ المجلات الإباحية في أدراجه.

تحمل مريم لقب "ابنة الحرام" منذ الصفحة الأولى، وتظل هذه الكلمة تحكم مصيرها طوال حياتها، حتى بعد زواجها من رشيد الذي يكبرها بعشرين عاماً ورحيلها معه إلى كابل، تظل مريم امرأة مسحوقة تلاقي الهوان من زوجها لأنها عاجزة عن الإنجاب. لم تحصل مريم طوال حياتها على ما يكفي من الحب، لكن هذا القفر العاطفي لم يدمر روحها، ولم يجعلها امرأة عاجزة عن أخذ الحب ومنحه لحظة وجوده، بل يمكن القول إن المحبة الإنسانية العميقة التي تغزل صفحاتها عبر هذه الرواية بين ليلى ومريم هي خيط الأمل الوحيد وسط كم من العنف والدمار والانتهاكات القاتلة جسدياً ونفسياً.

ينتقل السرد في الفصل الثاني إلى ليلى وهي فتاة صغيرة في الرابعة عشر من عمرها، كانت تذهب إلى المدرسة ووالدها يلقنها الشعر ويحلم بأن تصبح طبيبة، لكن ليلى تفقد أسرتها وأمنها حين يلقى والديها حتفهما في صاروخ يفجر البيت، ترتبط ليلى بعلاقة عاطفية وجسدية مع صديق طفولتها طارق الذي يغادر مع أهله إلى بلدة أخرى؛ لكن ليلى

تضطر للزواج من رشيد زوج مريم. هكذا تبدو إقامة ليلى في بيت مريم كمنافس لها في البداية، ضرتها الصغيرة التي ستنجب الأطفال، وتأخذ ما تبقى من اهتمام الزوج الشرس، لكن وجود ليلى وإنجابها للطفلة عزيزة يتحول في حياة مريم إلى خيط ذهبي متين يشدها إلى الحياة والحب، إلى الوجود والعطاء، حين تبزغ صداقتهما مثل شمس الصباح تعلن عن نفسها رويداً رويداً.

الجدير بالذكر هنا أن رسم حسيني لشخصية ليلى جاء غير منسجم مع سنوات عمرها، سواء في ارتباطها وهي في الرابعة عشرة في علاقة جسدية، وحملها من صديقها طارق، ثم في وعيها بخطورة وضعها ورضوخها للزواج من رشيد، حيث يبدو هذا الوعي يتجاوز فتاة صغيرة.

يكشف حسيني عن قدرة المرأة على الحب، والتسامح، والعطاء، وعلى تحمل المعاناة والألم أيضاً. وعبر سلسلة من الأحداث يرسخ الكاتب لهذه الأفكار، كأن تلد ليلى ابنها "زلماي" في عملية قيصرية من دون مخدر، وأن تهرب مريم مع ليلى والطفلة عزيزة متحملة مشقة انكشاف الأمر والعقوبة التي ستلقياها معاً من رشيد. وفي الوقت عينه تبدو صورة الرجل سلبية على مدار صفحات الرواية، سواء من الأب جليل الذي يتخلى عن طفلته مريم، لأنها غير شرعية، أو الزوج رشيد العنيف والديكتاتوري، حتى حينما تحاول كِلتا الزوجتين مريم وليلى الهرب من منزل رشيد يخونهما رجل أفغاني في محطة الباصات عن طريق استيلائه على أموال ليلى، وتسليمهما إلى الشرطة التي تجبرهما على العودة إلى رشيد؛ ولا تبدو صورة الرجل إيجابية إلا مع طارق حبيب

ليلى، بعد أن يتزوجها ويرعاها هي وطفليها، وأيضاً مع شخصية الملا فيض الله الذي يعلم مريم في طفولتها الآيات القرآنية، ويساعدها على مواجهة قسوة الحياة؛ وعلى الرغم من المساحة الصغيرة في الرواية لشخصية فيض الله إلا أنه ظهر من أكثر الشخصيات تأثيراً.

تواجه مريم مصيرها بشجاعة بعد أن تقوم بقتل رشيد إنقاذا لمريم، تختار أن تسلم نفسها للقضاء، وترضى تحمل عقوبة الإعدام وهي تستعيد بسلام نفس مسيرة حياتها الماضية لنقرأ: "تمنت مريم الكثير في تلك اللحظات الأخيرة، وهي تغمض عينيها لم تعد تشعر بالندم، وإنما غمرها إحساس بالسلام. فكرت في دخولها إلى هذا العالم: طفلة "حرام" من قرية وضيعة، غلطة، حادثة، تثير الشفقة، وتستدعي الندم، عشبة ضارة. وها هي تغادر العالم امرأة أحبت وأُحبت. تغادر العالم صديقة، ورفيقة، وحامية، وأماً، شخصاً له وزن أخيراً.. نهاية شرعية لحياة كانت بدايتها غير شرعية" ص ٤٧٩.

تبدو مدينة كابل في الرواية، مدينة بألف وجه وشمس، ينطبق عليها بيت الشعر الذي تذكره ليلى على لسان أبيها: "لا يستطيع المرء أن يحصي الأقمار التي ترتعش في أسقفها، ولا ألف الشمس الساطعة التي تختبئ خلف جدرانها".

يتمكّن القارئ من مشاهدة كابل في عيني ليلى، وعبر علاقتها مع طارق حبيبها الأول الذي تتزوجه بعد خلاصها من رشيد. ففي طفولة كليهما ليلى وطارق تبدو مدينة كابل ماثلة في الذكريات، تشكل

علاقتهما، وتعيد وصلها من جديد بعد أن يعيشا معا بعيدا في باكستان. تقرر ليلى العودة إلى كابل، وتستحضر كلمات أبيها: "كابل تنتظر، كابل في احتياج".

يصف حسيني روايته قائلا: "أردت أن أكتب قصة حب أخرى تدور في أفغانستان لكن تلك المرة قصة أم وابنتها، عن الحياة الخاصة لاثنتين من النساء الأفغانيات المكافحات. أظن أنه كان بإمكاني أن أسلك طريقاً أسهل لكنني اخترت هذا الطريق لأني ككاتب وأفغاني لم أستطع التفكير في قصة أكثر إثارة أو أهمية أو إلحاحاً من كفاح النساء في بلادي.. عدت إلى كابل عام ٢٠٠٣ والتقيت بأناس من جميع مناحي الحياة، وأتذكر حين وقفت عند ناصية لأرى نساء مغطيات بالكامل يسرن في الطريق يتبعهن أطفال. أتذكر أنني فكرت: من هذه المرأة وراء الحجاب؟ ما الذي رأته؟ ما الذي تحملته؟ ما الذي يسعدها؟ ما هي آمالها؟ طموحاتها؟ إحباطاتها؟ إن ألف شمس ساطعة هي محاولتي لاستكشاف الحياة الخاصة لهاتين المرأتين المتخيلتين والبحث عن الإنسانية العادية جداً خلف حجابهن.. ألف شمس ساطعة رواية عزيزة جداً على قلبي، لقد كانت عملاً قائماً على الحب" .

– ألف شمس ساطعة، خالد حسيني، ترجمة: إيهاب عبدالحميد، دار بلومزبري ٢٠١٣م.

الوله التركي



رواية "الوله التركي" للكاتب الإسباني أنطونيو غالا نالت جائزة بلانيتا عام ١٩٩٣، وهي من أهم جوائز الرواية في إسبانيا، وأعيدت طباعتها أكثر من عشرين طبعة إلى الآن، ووصل عدد النسخ إلى ما يزيد على مليون نسخة. والرواية، كما يبدو من العنوان، تتحدث عن وله شديد، وعشق مرضي مخيف يصل إلى درجة الفناء السلبي في الآخر.

تتكون الرواية من أربعة أقسام على شكل دفاتر تحوي مذكرات "ديسيديرا أوليبان" بطلة القصة، التي تروي من خلال مذكراتها حكاية عشقها العنيف للرجل التركي "يمام" الذي تدور معظم أحداث الرواية في فلك أهوائه الغريبة.

تتمرد "ديسيديرا" على زواج نمطي تقليدي بعد لقائها بـ"يمام" في تركيا خلال رحلة سياحية قامت بها برفقة زوجها وبعض الأصدقاء. حيث يؤدي عشقها ليمام إلى الاستسلام الكامل له والانزلاق في منعطفات مؤذية على المستوى الإنساني العام. فالرواية تسير في خط تصاعدي لتصل البطلة في منتصف الأحداث إلى ذروة العشق والهيام الكامل، لكن هذا الخط يبدأ بالانحدار ويبدأ معه انحدار المفاهيم الأساسية في حياة ديسيديرا.

وفي الوقت الذي يتوقع فيه القارئ نهاية هذه العاطفة أو سقوطها في نمط من الروتين الممل وتحولها إلى مجرى آخر، تسير الأحداث في خط مغاير يشبه المسيرة الحلزونية، أي من انزلاق إلى آخر أشد خطورة.

ترتبط حياة البطلة في شكل أعمى بذاك الوله العجيب المتجسد في شخص يمام وتتقد في روحها وجسدها أحاسيس حارقة تلتهم كل القيم والمبادئ التي نشأت عليها، فنجدها خاضعة كلياً لاستسلام نهم لسلطة الرجل التركي لتتحول إلى تاجرة مراوغة، ثم امرأة سرير لزبائن مميزين، ثم تاجرة مخدرات، وأخيراً شريكة في علاقة جنسية.. هذا ما وصلت إليه ديسيديدرا!

لكن هل هذا ما كانت تطمح إليه وهي المستسلمة كلياً لسلطة يمام، ولا ترى أبعد من رغباته ونزواته وصفقاته!؟

تبدو الرواية وكأنها تشكل سهمين متعاكسين بين خط البداية العائلي الهادئ بين ديسيديرا وزوجها روميرو، بينما السهم الثاني يطرح أزمات الخراب الداخلي، والتصدع الأخلاقي العنيف، وضياع الهوية الذاتية.

إذ على المستوى النصي والفني يبدو فقدان البطلة لهويتها الداخلية العامل الأساس الذي قاد إلى كل هذا التدهور، مع غياب أي طموح خاص أو أحلام، أو رغبات، لا تفرد داخلي سوى في ذاك الوله المرضي المؤذي لذاتها قبل أي إيذاء للآخر. لا سلوكيات تميز شخصيتها، لا اعتراض، لا تمرد يوحي باستيائها مما يجري حتى ثورتها لم

تكتمل حين أحست أن يمام يقدمها بسهولة إلى رجل آخر، تغادر نحو إسبانيا وطنها الأصلي، لكنها تعود إلى يمام مع علمها أي نوع من الرجال هو، وأي عاطفة مدمرة سيقود عشقها له.

الشكل الفني للرواية يقوم على السرد، والحوار الداخلي الغني والشفاف في الآراء والمستوى التعبيري واللغوي، مما يبدو متناقضاً مع سلوك البطلة التي تعرف أي هاوية تسير إليها وتندفع أكثر وأكثر، لتتشابه حالتها مع مدمن الأفيون الذي سيتساعد على إدمانه بإدمان أكبر.

الأحداث الأخيرة بدت متوائمة مع السهم الانحداري الذي سيطر على القسم الثاني من أحداث الرواية، فشكَّل حدث الانتحار على سلبيته المطلقة انتشالاً من حال الغرق الأخلاقي المزري الذي وصلت إليه، حيث تبدو مفارقة غريبة أن يمثل الموت العامل الوحيد المنقذ والأجدى من أي وسيلة أخرى إذ ستجري حياة ديسيديرا من انزلاق حتمي إلى آخر، مع أن احتمالات النجاة كانت متاحة أمامها عند عودتها إلى إسبانيا، أو عند عودة صديقها "بابلو" الذي طلب منها الانسحاب من حياة يمام السيئة والخطرة. بيد أن عاطفة البطلة نحو حبيبها تجاوزت مستوى عاطفة الأم نحو ابنها، تلك العاطفة السامية التي تغفر للابن أي ذلة، لكن مثل هذه المشاعر تبدو ولهاً مجنوناً حين لا تكون صادرة عن الأم، لأن عاطفة الأم معرضة للطعن من قِبل الأبناء فكيف سيكون الحال بين عاشقة متهورة، ورجل مجرد من القيم الإنسانية؟

نسج شخصية يمام بدا متطابقاً ومرسوماً بدقة من بداية الأحداث، هو مرشد سياحي لبق يوقع في حبائله نساء يعلم تماماً مدى الفائدة التي سيحققها من خلالهن في ما بعد.

ويمثل يمام شخصية القواد المستتر وراء مهن أخرى، غارق في ملذاته الخاصة، ومجرد من أي حس إنساني أو عاطفي. ففي الوقت الذي تمنحه ديسيديرا أحاسيس عشق وشغف غريب تظهر عواطفه نحوها مرسومة في شكل هندسي دقيق يحدد ما سيصل إليه، كل كلمة، كل همسة، كل فعل يقوم به تبدو أهدافه مرسومة مسبقاً ومعلومة النتائج.

فالرواية لا تقدم أي فعل إيجابي يقوم به يمام إنسانياً أو عاطفياً، بل نراه هازئاً من تعاطف ديسيديرا مع الفقراء والبؤساء، ويسخر من سلوكها المتعاطف مع الناس، وتكتمل صورته في إجبارها على الخضوع لعمليات إجهاض متكررة بأسلوب بدائي وسيئ، ويعرض حياتها للموت.

شخصية يمام يكتمل نسجها مع أحداث النهاية في الرواية، ومع قدوم "بلانش" الفتاة الفرنسية الأصغر والأجمل من ديسيديرا والتي ستقدم له مكاسب أسرع ليكتمل بذلك رسم الدائرة في حياة "ديسي" وإعلان نهايتها المرتقبة بعد وصولها إلى سن الثالثة والثلاثين، حين يطلب منها يمام مغادرة بيته والذهاب إلى أي مكان آخر.

الرواية تحمل بعض المفارقات الغريبة، كأن تنسى ديسيديرا في الفترة التي أعقبت عودتها إلى إسبانيا يمام وهي حامل منه وتنصرف بكليتها إلى التفكير بالطفل القادم ونسيان علاقتها به، على رغم اكتشاف زوجها حقيقة حملها من الرجل التركي.

ما يظل مغيباً أيضاً تلك التفاصيل الداخلية في شخصية يمام، التي لا تسترسل في ذكرها أو في ذكر مواقف أو حوارات عاطفية وجدانية، بل تركز في علاقتها معه على اللقاء الجسدي فقط لا على التمازج النفسي والعاطفي.

ختاماً يمكن الإشارة بإيجاز إلى أن انطونيو غالا في بنائه لشخصية ديسيديرا مزج الموسيقى والشعر العربيين والغناء الأندلسي العميق، من هنا يأتي هذا التداخل الجميل لسيرة الكاتب الشخصية مع بنائه الروائي والشعري وهو الذي كتب معظم رواياته عن حالات العشق والوله المتفرد الذي يصل إلى حافة الجنون، وهذا العشق الغريب الذي يتحدث عنه وليد تمازج حضاري، واختلاط ثقافات متنوعة أدت إلى تكوين شخصية فريدة في مزاياها وقادرة على منح عشق لا يتكرر لأنه ثمرة التلاقح بين الشرق والغرب ونجده يعبر على لسان بطلة الرواية: "كنت أشعر بشيء أخوي تماماً في تلك الرحلة كما لو أن العرب الأندلسيين يهمسون في عروقي بصلوات غير مفهومة، لا شيء يموت كلياً، لا وجود للنسيان" .

– الوله التركي، أنطونيو غالا، ترجمة: رفعت عطفة؛ دار ورد، دمشق ٢٠٠٠.

وي هيوي.. "الزواج من بوذا" يعيد إنتاج شنغهاي بيبي



تعود الكاتبة الصينية "وي هيوي" برواية "الزواج من بوذا"، وهو عنوان لافت للنظر كما كان عنوان روايتها الأولى "شنغهاي بيبي" التي تُرجمت إلى أكثر من عشرين لغة، لكنها أُحرقت في الصين ومُنع تداولها. وتُعتبر وي هيوي من جيل الكُتاب الشباب، فقد ولدت عام ١٩٧٤، وهي ابنة ضابط حربي، وبعد إكمال دراستها للآداب مارست أعمالاً مختلفة كصحفية ومحررة تليفزيونية.

في رواية "الزواج من بوذا" لا تبتعد الكاتبة كثيرًا عن الأفكار التي طرحتها في روايتها الأولى "شنغهاي بيبي"، لكنها في "الزواج من بوذا" تمكنت من إظهار حرفتها الروائية بشكل تقني أكثر مما هو في الرواية الأولى. تدور أحداث "الزواج من بوذا" ما بين شنغهاي، ونيويورك، وبونيس آيريس، وبرشلونة، ومدريد، وجزيرة بوتوو في الصين. إن كل هذه الأماكن تنتمي لطريقة معينة في السرد تقدم من خلالها الكاتبة رؤيتها للعالم. إذ يمكن بسهولة الحديث عن وي هيوي من جانب طرحها للقلق الكامن في داخلها حول الفروقات الكثيرة ما بين الحضارة الغربية التي تمارسها وتعيش فيها، وبين حضارتها الأم التي تنتمي إليها (الصين) إن

هذا القلق الذي تقدمه في روايتها الثانية من خلال الشخصيات التي تبدو راسخة تمامًا في واقعيتها، ولكنها في ذات الوقت تحمل بعدًا رمزيًا، قدمته أيضًا في رواية "شنغهاي بيبي" حيث بُنيت الرواية على ثلاثة تقاطعات رئيسية البطلة (كوكو) الصينية وحبيبها الصيني (تياي تياي)، ثم الشاب الألماني (مارك) الذي تلتقي به في مناسبة عامة وتقيم معه علاقة جنسية، وتظل طوال الجزء الثاني من الرواية تعيش في تجاذب مضاد بين حبيبها الصيني وبين شغف الحب الجنسي مع الشاب الألماني (مارك)، وهناك إلى جانب هذا التجاذب صراع آخر ترشق به الكاتبة مجتمعها الصيني الذي تقوم بانتقاده بشكل ساخر عبر الرواية، من هنا نستشف السبب وراء منع هذه الرواية ومصادرتها من قبل السلطات الصينية، ولعل هذا المنع أسهم في لفت الأنظار للرواية وكاتبتها، إذ تُعتبر وي هيوي نجمة متألقة في الأدب الصيني بين جيل الشباب تحديدًا.

إن ما كتبته وي هيوي في "شنغهاي بيبي" تعيد صياغته بشكل آخر في "الزواج من بوذا"، وهذا لا يحدث على مستوى الشخصيات الرئيسية فقط، بل في الشخصيات الفرعية أيضًا.

فكما رأينا (زوشا) قريبة البطلة الثرية في الرواية الأولى، تحضر (زوشا) أيضًا في "الزواج من بوذا"، أما شخصية مادونا القواده سابقًا والأرملة الثرية لاحقًا في "شنغهاي بيبي" فترادفها شخصية "إكسير" المرأة التي قامت بعملية تحول جنسي بعد أن كانت رجلاً ناقص الرجولة.

تقول الكاتبة: "كانت شخصية إكسير تذكرني قليلاً بصديقتي القديمة مادونا، لكنها كانت محبوبة أكثر، أما إكسير فقد تعرفت عليها قبل عشر سنوات عندما كانت لا تزال فتى شاحبًا ضعيف البنية يعاني من عذاب حب شباب المراهقة، ومن العضو الجنسي الذكري بين ساقيه".

الشخصية الرئيسية في "الزواج من بوذا" هي "زي هوي"، وهي أيضًا كاتبة كما هي شخصية "كوكو" في "شنغهاي بيبي"، لذلك تؤكد الكاتبة على هذه المعلومات في إعادة تقديمها مرة أخرى عبر قولها خلال السرد في "الزواج من بوذا".

صدرت روايتي "شنغهاي بيبي"، وأنا في السادسة والعشرين من العمر، ولقيت نجاحًا عظيمًا في البداية، ثم حظرت في البر الصيني، وقد نشرت حتى الآن في أكثر من أربعين بلدًا، وأعدت مؤخرًا لتصبح فيلمًا طويلاً. أما شخصية "موجو" حبيبها الياباني، فهي شخصية مترادفه مع شخصية "تيان تيان" الحبيب الصيني في الرواية الأولى، تمامًا كما تترادف شخصية "مارك" مع شخصية "نك" في "الزواج من بوذا".

إن كل ما تذكره في الرواية الأولى تُعيد كتابته مرة أخرى مع استخدام أسلوب السرد ذاته الذي يقوم علي وضع عناوين فرعية، وتقسيم الرواية لفصول صغيرة ذات عناوين مميزة تكشف المحور الذي سيدور عنه الفصل مثل: (وصولها إلى نيويورك – في منتهى الإثارة – هذا هو الحب إذن – سر عن الحفلة الموسيقية – في معبد المطر الورع – عيد ميلاد موجو – يوميات العيش معًا).

الرواية مقسمة إلى "**٣٣**" عنوانًا، آخرها فصل (ثمرة الحب)، الذي تكشف فيه عن السبب في اختيارها عنوان الرواية تقول: في مساء أحد الأيام، حلمت ثانية بأنني أعوم فوق سطح بحر لا حدود له. أبحث عن الجزيرة السماوية التي تعلق بها قلبي. وعندما اعتراني ذلك الشعور المألوف بأني عاجزه، رن في أذني الصوت القادم من السماء مرة أخرى. وهذه المرة سمعته بوضوح، وكان ما قاله الصوت: "تزوجي من بوذا".

تركز الكاتبة في روايتها على الجانب الجسدي في وصف علاقاتها الجنسية، كما تركز أيضًا على الجانب الروحي من خلال شخصية (موجو) الذي يمارس التأمل، لكن جانب السرد الجسدي، أو سرد مغامرات البطلة يبدو أكثر قوة وحضورًا من الجانب الروحي، الذي يبدو سردها له كمشاهدة أكثر مما هي متفاعلة مع الحدث، هناك سرد رائع وشيق عن بعض المعتقدات البوذيه، هناك تأمل في الكون والعالم، لكن كل هذه التأملات العميقة تصوغها الكاتبة خلال رؤيتها للعالم ككل، أي إن السرد الروحي داخل الرواية ليس جزءًا من سعي البطلة الروحي أكثر مما هو إحدى الوسائل التي ترى فيها الحياة، وتحكي عنها، كأن تقول:

"في المرة الرابعة التي ذهبت فيها لأعبر للسيد العجوز عن احترامي. قال شيئًا في غاية الأهمية بالنسبة لي: إن الجهل سبب جميع أشكال المعاناة في العالم، ولكي يتحرر المرء من الجهل، عليه أن ينمي الرؤية الحقيقية والتأمل والعمل والرحمة. كوني رحيمة وعطوفة تجاه الآخرين. وكوني عطوفة ورحيمة تجاه نفسك. يظن البعض أن خصالهم

الجيدة يجب أن تتغلب على صفاتهم السيئة، وأن يقهروا العواطف السلبية، ويخرجوها من رؤوسهم وقلوبهم، هذا خطأ، فالمعاناة والمأساة ليستا شرًا، بل هما جزء عضوي من الحياة، وما عليك إلا أن تحولهما وأن تستفيد منهما".

لعل أبرز ما يميز كتابة وي هيوي هو امتلاكها أسلوبًا مشوقًا في السرد، أسلوبًا لا يسبب أي ملل للقارئ، لكنها على الجانب الآخر تفتقد للعمق الإنساني الذي يمكنها من سبر أغوار. النفس الإنسانية والعالم ورؤية ما خلفهما. إن سردها يظل يدور حول الذات بشكل متلاحق، وتظل سائر الشخصيات والأحداث منقولة من خلال رؤيتها هي، ليس هناك أي حيادية في رؤية العالم، من هنا بدت روايتها على جانب كبير من التشابه مع روايتها السابقة، حيث لم تقدم "الزواج من بوذا" سوى المخاوف ذاتها والقلق الداخلي نفسه الذي كانت تشكو منه بطلة "شنغهاي بيبي" .

– الزواج من بوذا، وي هيوي، ترجمة: خالد الجبيلي، منشورات الجمل، ألمانيا ٢٠٠٨م.

زادي سميث .. العولمة والعلاقات الإنسانية



بعد رواياتها "أسنان بيضاء"، "رجل الأوتوغراف" و"عن الجمال"، أصدرت زادي سميث روايتها الرابعة بعنوان "أن دبليو" التي جاءت ضمن أكثر الكتب مبيعا في ٢٠١٢، وفي هذا العمل تعود زادي سميث إلى بلدتها في شمالي غربي لندن التي تستلهم منها العنوان. تنقسم الرواية إلى أربعة فصول وكل فصل يدور حول حياة أحد أبطال الرواية، وهم شباب وشابات من لندن: لِيا، ناتالي، فيلكس، وناثان.

وتصف سميث واقع هؤلاء الشباب الذين يحاولون التمرد على فكرة الجذور التي تشدهم إليها، إلى جانب أحداث تتراوح ما بين العبثيّ والحتميّ حول صدمة هؤلاء الشبان بواقعهم ومجتمعهم وسعيهم للحصول على واقع أفضل، لكن دون جدوى. تتركز الأحداث الرئيسية حول نتالي وليا، وهما صديقتان من أيام الجامعة وبظروف حياتية متشابهة، لكن نتالي تنجو من دائرة الفقر، وتغدو محامية ناجحة، ثم تتزوج من رجل ثري يعمل في بنك، وتنجب طفلين، لكن حياتها جافة، وتتسم بالفراغ الروحي، لذا نراها تلجأ للقيام بعلاقات عاطفية عابرة.

وفي مقابل نتالي تحضر صديقتها ليا، التي تعمل في وظيفة بسيطة، وتتزوج من رجل محدود الدخل، ولذلك تجد مشقة في تدبير شئون حياتها المادية والعائلية، وتبدو طوال الوقت حانقة على الأوضاع الطبقية الجائرة، وتتعكر مشاعرها نحو صديقتها ناتالي. ولعل المثير في كتابة سميث أنها لا تطلق أي تقيم لأبطالها، بل تقدمهما في ظروفهما الواقعية، مع استدراجهما إلى مونولوج داخلي، تاركة للقارئ حرية الحكم على أفعالهما.

يمكن القول إن العولمة الاقتصادية والسياسية تحتل مكانة بارزة في هذه الرواية، بل في كتابة سميث عموما، إلى جانب وجود أشخاص من مختلف الانتماءات والأعراق.. اعتبر النقاد الإنجليز أن رواية سميث التي تستخدم فيها تقنيات جديدة في السرد تجريبية في الشكل والمضمون، إذ يوجد فيها محاكاة لأسلوب فيرجينيا وولف من خلال وجود "تيار الوعي" مع تداعي الأفكار والمونولوج الداخلي، كما تأثرت أيضا بجيمس جويس حيث تغوص الرواية في معالم المنطقة اللندنية التي تصفها بكل دقة، مع رصد الواقع المعاش لأبنائها في أدق تفاصيلهم المتعلقة بالمال والجنس، والعولمة. فالرواية تكشف تلاشي الإيمان بالثوابت، وتركز على التحولات الإيديولوجية، خاصة بعد الانهيار الحالي للنظام الاقتصادي في بريطانيا.

حظيت زادي سميث بشهرة عالمية، وتعتبر وجهاً من وجوه الأدب البريطاني الحديث ورمزاً له وتمثل الجيل الجديد من الكتاب في إنجلترا، بل وتعتبر إحدى الظواهر في عالم الأدب الإنجليزي. وصف النقاد زادي

سميث قائلين: إن هذه الفتاة المبدعة والبديعة تخرج من عباءة تشارلز ديكنز، أعظم روائي بريطاني في القرن التاسع عشر".

فازت روايتها "أسنان بيضاء" بجائزة الاورانج، وقد كتبتها وهي في الواحد والعشرين من عمرها وحققت بفضلها نجاحا كبيرا. تنحدر زادي سميث من أب إنجليزي، وأم جاميكية، وعاشت حياتها في شمال لندن، وسط خليط عرقي وثقافي متنوع. ربما لهذه الأسباب نجد أسئلة الجذور والهوية موجودة بوضوح في رواية "أسنان بيضاء"، خاصة حول الأشخاص المهاجرين من أوطانهم، إلى أماكن أخرى، لذا إن المحور الرئيس في كتابة سميث هو كيف تحقق التوازن بين المكان الذي أتيت منه، والمكان الذي تعيش فيه؟ حازت "أسنان بيضاء" على عدة جوائز منها جائزة الغارديان للكتاب الأول، وتم تحويلها إلى سلسلة تليفزيونية قصيرة من إنتاج هيئة الإذاعة البريطانية "بي بي سي". وتتناول الرواية التوجهات الفكرية المتباينة بين صديقين، أحدهما بريطاني ويدعى آرشي جونز، والآخر من بنجلاديش واسمه عبدالصمد إقبال. وفي حين كان جونز يتسم بطبيعة عملية مثل غالبية البريطانيين والأوروبيين، كان عبدالصمد يُمثل طبيعة مختلفة، لا يتماهى مع الثقافة الغربية، بل يعبر عن غضبه من انحطاط الثقافة السائدة في بريطانيا، وتأثيرها الضار علي الجيل الشاب. وهكذا كان جونز وعبدالصمد يجسدان عالمين مختلفين (الغرب والشرق) أحدهما واقعي ومادي، ويتطلع للحرية بغض النظر عن أي شيء آخر. أما الثاني ففي داخله رفض للواقع وحنين للجذور وللهوية، مدركا انحداره من قيم وعادات مختلفة عن السائد في بريطانيا.

الجدير بالذكر أن زادي سميث تعيش حاليا في نيويورك، متفرغة لكتابتها، ولتربية طفلتها، ولمحاضراتها حول الكتابة الإبداعية.

ساندرو ماي يقتفي آثار "كازانوفا في بولزانو"



ما الذي يمكن قوله في عمل روائي عن العاشق الأشهر في التاريخ كازانوفا، الذي تنطوي سيرته على حكايات وأسرار فيها من الثراء والبعد الإنساني ما يحفز بصدق على الكتابة!

ربما تأخر القارئ العربي في معرفة الكاتب الهنغاري ساندرو ماي، الذي كتب رواية "جمرات" وتعتبر عمله الأشهر. ولد ساندرو ماي عام ١٩٠٠ وكان من أشد المعادين للحكم الفاشي، واشتهر بكونه أحد أهم الروائيين الرواد في المجر. رواية "كازانوفا في بولزانو"، وقد نقلت الرواية إلى العربية بترجمة رشيقة لإيمان حرز الله .

كتب ساندرو ماي روايته هذه في عدة فصول، متابعاً رحلة كازانوفا وهروبه عام ١٧٥٦ من سجن الليدز في البندقية، ليصل بمظهر بائس ورث إلى بلدة بولزانو، ورغم هذا تبدأ مرحلة أخرى من مغامراته؛ ليكون الشخص الذي عرفه التاريخ كازانوفا المغامر، زير النساء الشبق، المقامر، الجريء، المتسلط والكاتب أيضاً، الذي لم يمنعه مظهره المتشرد وفقر حاله بسبب هروبه من السجن، من أن يذهب إلى فندق فخم، وأن يقيم فيه مدعياً بأنه رجل مهم.

يكشف الكاتب بسرد مشوق عن حكاية سجن كازانوفا، بسبب غرام "فرانشيسكا" به، وهي فتاة يافعة تزوجت من دوق بارما العجوز المتسلط الذي يدرك جيداً أنها ما تزال تحب غريمه كازانوفا حين يعثر على رسالة غرامية تكتبها له.

لكن ساندرو ماي لا يكتفي بسرد حكاية بطله ومغامراته، بقدر ما يلقي الضوء على ما تركه من أثر في حياة الآخرين. لنقرأ هذه الفقرة: "هذا هو السر عزيزتي، هذا كل شيء: ليس ثمة خدعة، الأمر دائماً بهذه البساطة. كلمسة شخص. لقد لمستني حين دلفت الغرفة. أظن أحياناً أن هذا هو أكثر أشكال التواصل غموضاً. هل تسارع قلبك قليلاً؟ هل يحمر وجهك؟ أنت تعلمين جيداً أنه ليس بإمكانك الذهاب الآن. اقتربي، عودي حيث كنتِ" ص ٤٢.

تطرح الرواية تأملات في الحب والجسد، وطبيعة العلاقة بين الرجل والمرأة، ورغم النبرة الدرامية في النص، إلا أن ثمة نزعة إلى السخرية تصل حد العدمية تحكم النص منذ البداية.

لعل أكثر الفصول المثيرة للمخيلة في الرواية، والتي تتضمن عمقاً فكرياً، الفصل الذي تضمن حواراً بين كازانوفا والراهب بالبي، حيث يتحدث كازانوفا عن رؤيته للحياة والكتابة، عن تأملاته فيما يظل من الإنسان بعد تلاشي الرغبات، والأحلام، والطموحات، حيث لا يبقَ منه إلا الكلمات يقول:

"أؤمن بالقدر، بأقدارنا التي نصنعها لأنفسنا، ولذلك نتقبلها. أؤمن بالحياة، بتعددية الأشياء التي في نهاية المطاف، وعلى نحو ما إعجازي تصل لانسجام. أؤمن بالحب ودائرة الحظ. وأؤمن بالكتابة لأن قوتها تفوق القدر والزمن. إن كل شيء يذهب، ما نفعله، وما نرغب فيه، وما نحبه، وما نقوله، النساء العلاقات. يتراكم تراب الزمن على كل ما فعلناه، كل ما أثارنا ذات مرة، لكن الكلمات وحدها تبقى. كما أقول لك أنا كاتب.. يدهشني أن أجدني كاتباً، ليس لدي حيلة تجاه الأمر، ليس بوسعي شيء فيه، لذلك أتوسل إليك أن تحفظ هذا الأمر سراً، لأنني لا أحب أن أتفاخر وأشتكى في آن واحد."

تحضر شخصية فرانشيسكا – محبوبة كازانوفا – في الرواية لتمثل القوة الأنثوية للحب، ففي موازاة رؤى كازانوفا للشغف والجسد، والعاطفة، تقف فرانشيسكا على الجهة الأخرى لتصف إيمانها الكامل بطاقة الحب التي تتجاوز الزمن، والفراق، والأقنعة النفسية التي يضعها الإنسان على ذاته كي تحول دون مشاعره الحقيقية، تمضي فرانشيسكا في تحليلاتها ليس فقط عن أحاسيسها هي، بل تقدم ما تراه عن الأحاسيس الأعمق للمرأة قائلة: "حذار من أن تهدي المرأة التي تحبها مرآة، لأن النساء يستطعن في النهاية معرفة أنفسهن في المرايا". إن هذه المعرفة التي تحكي عنها محبوبة كازانوفا لن تصل إليها بسهولة، بل بعد صراعات مريرة مع مشاعر متضاربة، وحياة قلقة مع زوج عجوز لا تحبه، بينما قلبها مع رجل آخر تخلى عنها ومضى بعيداً، وهي تواجه مشاعر

الحب، والكره، التخلي والفراق، في قت واحد، لذا يبدو الفصل الذي حمل عنوان "عرض الضيف" وفيه تكشف فرانشيسكا عن معاناتها، من ضمن أكثر الفصول ثراء وقدرة على وصف التشابكات النفسية والعاطفية في داخل المرأة العاشقة، أو المنشطرة بين حياتين، ورغم هذا تستعين بقوة الحب في داخلها للمواجهة، تتنكر بزي رجل وتأتي لتواجه كازانوفا، تبحث عنه كعاشقة أضناها الوجد، لنقرأ: "أنت الرجل الذي منحته لي أقداري وأظل أنا المرأة التي منحتها لك أقدارك، نحن معاً كالقاتل والضحية، كالمذنب والذنب، كالفنان وفنه... سامحني إن كان حبي لك كثيراً. أنا أعرف أن هكذا حب ذنب عظيم.. أعلم أنني سأنتظرك للأبد، وأينما يكن لي فراش فتأكد أن لك عليه وسادة".

لكن كازانوفا يقاوم هذا الحب الكبير، ليس لأنه ملتزم بالوفاء بوعده لزوجها دوق بارما، بأن لا يقترب منها أبداً، بل لأنه يخاف وهج الحب وناره.

يختم ساندرو ماي روايته برسالة يمليها كازانوفا على رفيقه الراهب بالبي ليكتبها إلى دوق بارما، رسالة صاخبة بالمشاعر الجياشة نحو فرانشيسكا، لكنها في الوقت عينه تكشف كل ما بينهما من حب عميق، هكذا بكلمات بسيطة وصادقة يُفضل كازانوفا وحدته الداخلية على التوحد في الحب، ووجود كيان آخر برفقته .

– كازانوفا في بولزانو؛ ساندور ماراي، ترجمة: إيمان حرزالله، دار التنوير، القاهرة ٢٠١٣.

" بائع الكتب في كابول".. من وجهة نظر أمريكية



في كتابها الذي وضعته عن عائلة أفغانية تعيش في كابول، حاولت الكاتبة النروجية آسني سييرستاد تدوين تفاصيل دقيقة عن واقع الحياة اليومية لأسرة من قلب المجتمع الأفغاني. "بائع الكتب في كابول" نص يمزج ما بين الرواية والتقرير الصحفي والسيرة. تحكي الكاتبة عن "سلطان خان"، بائع الكتب الذي حافظ على التراث الأدبي الأفغاني من الضياع في الصراعات السياسية المتعاقبة على بلاده.

هكذا يبدو اختيار الكاتبة لعائلة خان متعمداً لسببين، الأول لأنها برفقة هذه العائلة تتجاوز حاجز اللغة لأن بعض أفرادها يتكلمون الإنجليزية، ثانياً، اتكالها على سلطان خان في الحكي عن تاريخ أفغانستان، أي إن سلطان خان "الذي يحب بلده حتى الشغف" ليس رجلا عاديا، إنه معايش يومي، يراقب ويحكي حقيقة الحدث "ففي بادئ الأمر، أقدم الشيوعيون على إحراق كتبي. ثم جاء المجاهدون بعد ذلك لتخريب المكتبة ونهبها. وأخيراً أكملت جماعة طالبان إحراق ما تبقى مرة جديدة".

في هذا النص تسعى الكاتبة جاهدة أن تشمل حياة أفراد هذه الأسرة بعين ناقدة وحساسة، تغطي أدق التفاصيل، عبر الإمساك بالمعلومات التي لا يتم التطرق إليها كثيرا في الحديث الإعلامي عن أفغانستان، وفي خضم هذا السعي للكتابة كان عليها أن تتحرر من سيطرة أفكارها الغربية المتناقضة تماما عن واقع الأسرة الأفغاني الذي زجت نفسها به. تقول: "نادرا ما شعرت بأنني غاضبة مثلما كان حالي أثناء وجودي مع عائلة خان، فإنني نادراً ما تجادلت مع الآخرين إلى الحد الذي بلغته في منزلهم. ولم تنتابني رغبة في الاشتباك بالأيدي مع أي شخص كان مثلما كانت تنتابني هذه الرغبة أثناء وجودي معهم في بعض الأحيان. الأمر نفسه يستثيرني على الدوام: طريقة معاملة الرجال للنساء. التسليم بسيادة الذكور على الإناث كان أمراً مغروساً في أنفس الجميع".

تحكي سيريستاد بأنها كتبت كل ما رأته وسمعته في مشاهد نابضة بالحياة سواء من عائلة سلطان أو في أفغانستان ككل، تصف كيف "قوبل سقوط طالبان بالترحاب، ولم يعد ثمة أحد يخشى من أن يلجأ البوليس الديني إلى مضايقته في الشارع". وفي سردها لبعض الأحداث تبرر قدرتها على وصف الأحاسيس الداخلية للأشخاص بأنها استوحتها من استنتاجاتها الخاصة عبر ردود أفعالهم، وأيضا من الحكايا الشفوية التي يحكيها بعضهم عن بعض، لكن رغم ذلك يتمكن القارئ من الوقوف أمام ملاحظة سرد تفاصيل خاصة جدا لا يمكن أن تُحكى لها، بل لا يمكن سوى أن تكون قد أعملت مخيلتها في صياغتها

وشبكها مع القصص بما يتوافق مع التوجه الدرامي للقصة، نجد هذا عندما تصف مثلا مشاهد بين سلطان وإحدى زوجتيه في غرفة النوم، أو حين تحكي عن مشهد حب سمعت عنه من أحد الأفراد.

تتمتع آسني سييرستاد بطريقة جذابة وسلسة في السرد تمزج ما بين الحكي والوصف وبين رؤيتها للطبيعة، لكنها ركزت بشدة على جانب وضع المرأة في المجتمع الأفغاني، عبر تكرار سرد الحكايات التي تتناول ما يحدث في أعقاب إخفاق قصة حب، أو في ذكر التقاليد المتشددة التي ترافق الخطوبة أو الزواج.

لا يشعر قارئ "بائع الكتب في كابول" بالملل، ربما لتمكن الكاتبة من إيصال أجواء الحياة الواقعية في وسط عائلة أفغانية بوصف دقيق يشبع فضول القارئ لاكتشاف ما يحدث خلف الأبواب المغلقة، وتحت رداء "البوركا". يعيش الكثير من الأشخاص الذين تحكي عنهم الكاتبة سواء كانوا من عائلة "سلطان خان" أو من أقاربه أو جيرانه – الذكور – حلم الهجرة إلى أوروبا والفوز بحق اللجوء، فيبدو هذا الحلم كأنه السمة العامة التي تكاد أن تكون جزءا من منظومة سائدة ومألوفة ومقبولة اجتماعيا.

تملك الكاتبة أيضا حساسية في التقاط مفردات صغيرة تتعلق بالمكان، والطقس المرافق لتقديم وجبة الطعام، خاصة حين تصف وجود "سلطان" في الحدث، فهي قادرة على إدخال القارئ في أجواء ألف ليلة وليلة التي تسلط الضوء على سلطة الرجل ومدى هيمنته على النساء من

زوجات وأخوات وبنات. تحكي في أحد المشاهد عن دخول "سلطان" إلى البيت وكيف تُسرع ابنته ليلى في جلب الوعاء الفخاري ليغسل يديه فيه، ثم تناوله المنشفة، وتكون "قطعة القماش المشمعة قد مُدت على الأرض، حيث يمكن أن تقدم الوجبة" أما سلطان فإنه يقوم بتقبيل زوجته الثانية صونيا، فيما يكتفي بإلقاء التحية على زوجته الأولى شريفة.

إن اختيار الكاتبة لاسم سلطان لم يأت من فراغ، فهذا الاسم ليس الاسم الحقيقي لبائع الكتب، لكنها اختارته له لرؤيتها أنه الاسم المتناسب مع إيقاع حياته الذي عايشته وعرفته. ولا يمكن القول إن هذه الرؤية فيها شيء من التحيز ضده، أو أنها لا توافق الواقع لأنها متطابقة أيضا مع أفكار الغرب عن أفغانستان، بل إن سرد آسني سييرستاد فيه ما يبرر تلك الرؤية، خاصة فيما يتعلق بوضع المرأة، فالزواج يتم بناء على رؤية والدة العريس للفتاة، ولا يمكن للعريس بأي حال أن يكون شاهد الفتاة إلا عندما تكون طفلة، وإذا حدث غير ذلك توصم الفتاة بأنها "فاجرة"، كما حدث مع "سليقة" التي تحكي الكاتبة عن ضربها وحبسها، لأنها تحدثت مع شاب في الشارع. ترى الكاتبة أن توق النساء للحب في أفغانستان أمرا محظورا، لأن الحب لا علاقة له بالرومانسية، بل يجري تفسيره على أنه جريمة خطرة يكون عقابها الموت. وإذا كان ليس "في المظاهر الخارجية ما يدل على أي حياة جنسية في أفغانستان.. وبالرغم من المجازفة بتجرع عقوبة الموت فإن الناس لهم عشاق وعشيقات، كما أن هناك مومسات في المدن، يلجأ إليهن الشبان الصغار والرجال".

لكن بعيدا عن الحديث عن العادات والتقاليد وما فيها من تعسف ضد المرأة، هناك جزء مهم في سرد الكاتبة عن "سلطان"، إنها رغبته في إعادة طبع الكتب المدرسية الجديدة في أفغانستان، لأن الكتب التي قامت بطباعتها حكومة المجاهدين وطالبان لا نفع منها، فالكاتبة تحكي بتفصيل أكثر وضوحا نقلا عن سلطان قوله: "هذه هي الطريقة التي يبدأ فيها تعليم الأحرف الهجائية للأطفال، في السنة الأولى كما يلي: الحرف "أ" يرمز إلى إسرائيل التي هي عدوتنا، الحرف "ج" يرمز إلى الجهاد غايتنا في هذه الحياة، والحرف "ك" يرمز إلى كلاشينكوف سبيلنا إلى الانتصار".

لكن الكاتبة لا تكتفي بذكر حقبة طالبان، إذ تتوقف أكثر من مرة لتذكر المرحلة الشيوعية، وكيف أن الكتب الدراسية لتلك المرحلة لا تنفع أيضا لأنها "تتعاطى مع توزيع الأراضي، ومع المثل المتعلقة بالمساواة، كما تتعلق بالرايات الحمراء والمزارعين السعداء في المزارع".

أما "سلطان" فيمثل في هذه السيرة جانبا خاصا إلى حد ما، هو الرجل الذي يحلم بطبع الكتب التي كانت رائجة أيام "زاهر شاه" الملك الذي استمر حكمه حوالي أربعين سنة سادها الهدوء والسلام، إلا أنه عُزل في العام ١٩٧٣. ويرى سلطان بصفته أحد أكبر الناشرين في كابول أن من واجبه إعادة طبع الكتب الدراسية لتلك المرحلة. لذا قام سلطان بعقد اجتماعات مع مسؤولين من منظمة اليونيسكو ليعرض عليهم فكرته، غير أنه في النهاية يفشل في تحقيق هذا المشروع، لكن سلطان، رغم هذا المنحى الفكري، ورغم تمنيه أن تتولى حكم البلاد حكومة من

التكنوقراط، "يقوم الأوربيون بتنصيبها" إلا أنه يقدس التقاليد الأفغانية تماما، ففي الفصل الأخير من الكتاب تذكر الكاتبة عبارة يقولها سلطان: "إذا كانت العائلات لا تتقيد بالقواعد، فكيف يمكننا تكوين مجتمع يحترم القواعد والقوانين، ولا يحترم فقط البنادق والصواريخ؟ إن هذا مجتمع فوضوي، فإذا لم تكن العائلات ستقودها سلطة، فإننا نستطيع أن نتوقع المزيد من الفوضى القادمة إلينا".

تختم آسني سيريستاد سرد هذه السيرة بشكل متوافق مع البداية ومع مضمون النص، فهي لا تبتعد في التحليل بل تحكي حادثة حمل سونيا زوجة سلطان الثانية، التي تدعو الله أن يكون المولود ذكرا، وتعقب الكاتبة قائلة في آخر جملة في الكتاب: "لكن إن كانت أنثى، ستحصل كارثة أخرى في عائلة سلطان خان".

الجدير ذكره أن الكاتبة آسيني سيريستاد، صدر لها بالعربية أيضاً كتاب "ملاك غروزني"، ومن المعروف عن هذه الكاتبة حبها للمغامرة والجرأة في تغطية أحداث الحروب من كوسوفو إلى غروزني، وكان قد عرفها متابعو القنوات التليفزيونية النروجية من خلال تقاريرها اليومية التي كانت تبعثها عن يوميات الحرب على بغداد مع دخول القوات الأمريكية عام ٢٠٠٣.

أما بائع الكتب الذي استوحت من حياته هذا النص فقد التقت به بعد سقوط نظام "طالبان"، حيث كانت ترافق لمدة ستة أسابيع قوات تحالف الشمال في الصحراء المحاذية لطاجيكستان لتصل معهم إلى

كابول في تشرين الثاني ٢٠٠١، لكن ما يسترعى الاهتمام أيضاً بالنسبة لهذا الكتاب هو تحوله إلى قضية تدور بين أروقة المحاكم، إذ بعد صدوره جاء إلى النروج بائع الكتب باسمه الحقيقي" شاه محمد رايس" ليرفع دعوى ضد الكاتبة، وكانت حجته في الدعوة أن الكاتبة التي استضافها في بيته مدة خمسة أشهر، لم تكن أمينة في الاحتفاظ ببعض أسرار العائلة التي عرضته إلى نقمة المجتمع الأفغاني .

– بائع الكتب في كابول، آسني سييرستاد، ترجمة: حليم نصر، الدار العربية للعلوم؛ بيروت ٢٠٠٩.



تدبير منزلي".. حكايات النساء من البيت إلى التشرد



"امرأة تعرف ألف أغنية، خبزها طري، ومربياتها شهية، وفي الأيام الماطرة تعد الكعك المحلي، وشرائح التفاح المطهوة. وفي الصيف تُبقي ورودا في الأصص على البيانو، ورودا ضخمة ضواعة، وحين تتفتح تسقط بتلاتها، تضعها في مرطبان صيني طويل مع كبش القرنفل، والزعتر وعيدان القرفة، وكانت تنيم بناتها على ملاءات مكوية جيدا تحت طبقات من اللحف. وفي الصباح تمتلئ ستائرها بالضوء على نحو ما تمتلئ الأشعة بالريح".

(١)

تخوض الكاتبة مارلين روبنسون عبر روايتها "تدبير منزلي" في عالم متشابك، يظن القارئ للوهلة الأولى أنه سيغوص أكثر في عوالم النساء بكل أبعاده، لكن هذا غير صحيح تماما، ثمة ما هو أبعد من تفاصيل عوالم النساء، إلى فكرة الاغتراب الداخلي داخل بيت العائلة. إنه الاغتراب الذي يطيح بكل الأشياء جانبا، ويلقي بها إلى النار بهدف الانطلاق نحو عالم الرحيل، التشرد هنا لم يكن مفروضا، بل محض اختيار تقوم به البطلات؛ بطلة تلو أخرى تختار الفرار من عالم البلدة الضيق؛ بحثا عن فضاء رحب بغض النظر عما يمكن أن تواجهه من

صعاب، تضطرها أحيانا للتخلي عن أطفالها، لأن التوق للرحيل يظل غالبا، ومسيطرا على النص حتى في أعمق لحظات الاستقرار.

"تدبير منزلي" من ضمن روايات روبنسون التي حازت من خلالها على جائزة الأورانج؛ وفي هذه الرواية نجد الكاتبة تتبع حياة نساء من ثلاثة أجيال مختلفة، يعشن في بلدة "فينغرتون" وهي بلدة متخيلة، لكنها لا تبدو كذلك على الإطلاق، إذ تمنحها الكاتبة، كل ما يمكن أن يجعلها واقعية تماما. إنها بلدة العواصف والأمطار، حيث الرياح قادرة على قلع أسقف البيوت، والثلج يتمكن من تجميد السكان في منازلهم لأيام طويلة. تقول: "لطالما تفاخرت جدتي أن الطوفان لم يبلغ منزلنا يوما، لكن في ذلك الربيع، تدفقت المياه من حواف البيت وغطت أرضيته على ارتفاع أربعة إنشات، مجبرة إيانا على انتعال الجزم عند القيام بالطبخ أو الغسيل".

(٢)

تدور أحداث الرواية على لسان "روث" التي تكشف أنها تربت هي وأختها الصغرى "لوسيل" في رعاية جدتها "سيلفيا فوستر" بسبب رحيل والدتها، ثم بعد موت الجدة تتربى البنتان في كنف قريبتين للعائلة عجوزتين تعانيان من أمراض تقدم السن، إلى جانب نمط تفكيرهما التقليدي والجاهل، ثم تؤول رعاية الطفلتين روث ولوسيل إلى خالتهما " سيلفي فيشر" التي رحلت قبل سنوات وأرسلت العجوزتين إعلانا نُشر في الجرائد للبحث عنها؛ كي تعود لترعى بنات أختها. ومع عودة سيلفي تبدأ حكاية الرواية الفعلية.

في الجزء الأول من الرواية يتركز السرد على شخصية الجدة، في تتبع تفاصيل حياتها بدقة. وفي الرجوع للحديث عن شخصية الجدة عبر حفيدتها "روث" يلمس القارئ ثلاثة عوامل تقوم عليها الرواية وهي: الذاكرة، الحنين، والتأمل.

الجدة في الرواية ترمز إلى عنصر الاستقرار والسكينة والدفء، في منزل تحرص أن يكون في أبهى حالاته، لكن منذ السطور الأولى يحضر الحنين كعنصر أساسي، يقوم عليه السرد، لكن هذا الحنين يقابله حرمان كبير يفرض حضوره في عالم الطفلتين، وفي عالم الجدة من قبل، وأيضا في عالم الأم والخالة؛ فالجدة تفقد زوجها في البداية، وتعكف على تربية بناتها، ثم بعد أن تكبر البنات، تبدأ كل واحدة منهن بالهروب من البلدة، ولأسباب مختلفة، والدة الطفلتين تفر مع رجل غامض وتنجب البنتين ثم تعيدهما ليتربيا في كنف أمها ثم تمضي، وتموت في ظروف غامضة.

تعيش الجدة الحرمان من بناتها بعد هروبهن، وتعيش الطفلتان الحرمان من حنان الأم، وعاطفة الأب، هما لا تعرفان لم تركتهما أمهما، وبعد موت جدتهما تعانيان من الخوف من بقائهما وحيدتين، حتى ظهور خالتهما سيلفي، التي تعيش حياة مشردة بالانتقال من مكان الى آخر.. تقول على لسان البنت الكبرى روث: "لم نكن سمعنا اسم فينغرتون قبل أن تأتي أمي بنا الى هنا، ولم نكن نعرف شيئا عن جدتنا قبل أن تتركنا منتظرتين على شرفتها".

إن حضور الموت في عالم الطفلتين؛ مع فقدان جدتهما مصدر الأمان بالنسبة لهما يؤدي إلى وجود حالة من القلق تسيطر على مشاعرهما، "روث" منطوية قليلا، لكن "لوسيل" جريئة وطموحة لكنها تحس أن حياتهما غير طبيعية، وأن خالتهما سيلفي موضع سخرية من الجارات بسبب إهمالها في التدبير المنزلي، وفي اللياقات العامة، وإهمالها في الاعتناء بمظهرها، ومظهر الطفلتين اللتين صارتا مسؤليتها بين ليلة وضحاها. تحضر سيلفي كشخصية غامضة في البدء، يبدو أنها اضطرت للعودة رغما عنها، من دون أن تملك اختيار، فقد آل مصير رعاية الطفلتين إليها، وينبغي أن تؤدي المهمة، تبذل قصارى جهدها، لكنها غير بارعة في القيام بالأمور الحياتية، بل إنها من الممكن أن تنام قرب محطة القطار بثياب رثة أشبه بمتشردة، كما أنها تجمع الصحف القديمة أو تُجري حوارات مع غرباء عنها، وهذا ما يسبب غضب " لوسيل" التي لا تحرص على إخفاء غضبها، بل تنفجر في وجه خالتها لتنقل ما يتداوله أهل البلدة في السر. تنتقد "لوسيل" خالتها التي تنام بملابسها، أو منتعلة حذاءها، وتنسى نفسها في نزهات طويلة عند البحيرة.. وكان لتكرار مثل هذه السلوكيات أن دفع بلوسيل إلى الانتقال للسكن عند إحدى عائلات البلدة، حينها تبزغ رغبة الرحيل من جديد عند سيلفي، فما كان منها إلا أن أخذت معها الطفلة "روث" ومضيتا معا في فرار جديد، بعد أن أشعلتا النيران في منزل العائلة، كي يظن سكن البلدة أنهما قضيتا حرقا لسبب ما، فلا يبحث عنهما أحد.

(٣)

لعل المدهش في الرواية أن شخصية "روث" التي تتشابه مع شخصية الكاتبة نفسها، لا تبدو آسفة على هذا الاختيار، بل بدت متواطئة معه، هذا ما يبدو في الصفحات الأخيرة من الرواية، وكما لو أن عنوان "تدبير منزلي" تعبيرا عن سخرية مبطنة من عدم قدرة الخالة على القيام بالتدبير المنزلي المطلوب منها كي تنال رضى المجتمع، وبالتالي كان مصيرها التشرد، لكنه هنا تشرد واع بأهميته التي توازي الحرية، حيث المضي إلى المجهول في الرواية يماثل القدرة على التمرد من دون كلام أو مواجهات مع المجتمع، بل عبر الفعل المباشر الذي بدا أكثر تحررا وتأثيرا من أي قول .

– تدبير منزلي، مارلين روبنسون، ترجمة: سامر أبو هواش، هيئة أبو ظبي للثقافة، مشروع كلمة، ٢٠١٣.

"أزرق".. رواية العشق المنطفئ

عبر التفاصيل الدقيقة للحياة اليومية، تتمكن روسا ريغاس في رواية "أزرق" من تتبع اللحظات الأولى لانبعاث الوهج العشقي بين البطلين، ثم انطفاء هذا الحب.

"تلك الليلة وبعد أن تناولا العشاء وتغلب عليها النعاس والتعب، تركته عند بوابة منزله، لحظتها استدار وجلس مقرفصاً أمام نافذة السيارة، بينما هي تضع يديها على المقود بلا حراك، ثم همس: لا أريد أن أهجرك. قالها وهو يقبل أنفها وعينيها – ليس الجنس هو ما أريده منك، بل أن نخرج معاً بلا خوف، أن أقرر ما الذي سنفعله، ما الذي سنكونه، وما الذي تريدينه".

هذا المقطع مأخوذ من رواية "أزرق" التي حصلت مؤلفتها روسا ريغاس، على أهم جائزة في إسبانيا، وهي جائزة "نادال".

تصور الرواية حالة من الوله والعشق، استطاعت الكاتبة بحرفيتها الروائية المتينة والمدهشة أن تلتقط هذا الحب ثم انطفاء جذوته، إذ تمتد على مدار صفحات هذه الرواية قصة الحب العاصف الذي ربط بين مارتين، المخرج السينمائي الشاب، وأندريا الصحفية المتزوجة التي تكبره سنا، والتي هجرت زوجها وأطفالها وراء سراب حبها البحري الأزرق، باستسلامها الكامل لكل مده وجزره.

عبر التفاصيل المكررة و الصغيرة، والتي تبدو للوهلة الأولى غير مهمة وهامشية تمكنت روسا ريغاس من تتبع اللحظات الأولى لانبعاث الوهج العشقي بين البطلين، ثم تتبع مسيرة تسلله إلى السطح وصولا لذروة الوله، ثم انطفاء هذا الحب.

الشخوص في الرواية هم "مارتن" مخرج شاب طموح، "أندريا" امرأة متزوجة من رجل ثري ولديها ولدان، ثم ليوناردوس أحد أباطرة المال "إنه الرجل الذي يعرف كيف يجعل من نفسه مهما، وكان يشاع عنه المهارة وسعة الحيلة لدرجة كان معها قادرا أن يخون أفضل أصدقائه دون أن يدرك الصديق ذلك، وكان يقال عنه إنه يتقن عدداً غير محدود من اللغات".

يأتي هذا الوصف في الرواية لشخصية ليوناردوس الذي يحرك الأحداث بشكل خفي وغامض، هو الذي يقدم الوعود "لمارتن" للمساعدة في إنتاج فيلم خاص له، ثم هو الذي يؤجج رغبة الفرار عند "أندريا" رغم علاقته العائلية معها ومع زوجها، لكن ليوناردوس الذي يجسد السلطة الرأسمالية يقابله "مارتن" الشاب الحالم والطموح، فيما "أندريا" تحضر على مدار الرواية كشخصية مضطربة تقوم بمجازفات عبثية بلا اتجاه واضح. تظهر أيضا في النص شخصية "تشيكي"، وهي فتاة يافعة ترافق "ليوناردوس" في رحلته. تحس "أندريا" بالغيرة من "تشيكي" الفتاة الشابة الصغيرة التي تمتلك الصبا والجمال والحيوية، إنها المزايا التي بدأت بالأفول من عالم "أندريا" بعد تجاوزها الأربعين

ودخولها في علاقة حب مع "مارتن" الذي يصغرها بما يزيد عن عشرة أعوام.

لا تكشف الصفحات الأولى من الرواية بما يمكن أن تسير عليه الأحداث، إذ تبدأ الكاتبة عملها الروائي في وصف للجزيرة التي وصلوا إليها بالصدفة. "أندريا" التي هربت من زوجها ولحقت "بمارتن" و"ليوناردوس" وصديقته "تشيكي" و"توم" الشاب الإنجليزي الذي يرافقهم في الرحلة، عندما أبحر أبطال الرواية في سفينة "الباتروس"، وحصل عطل طارئ أدى إلى لجوء السفينة إلى أقرب أرض برية. تغوص المؤلفة وراء التفاصيل الدقيقة للجزيرة النائية، ويستمر ذلك على مدار الرواية، يتخللها الحدث الرئيسي في تسلل خفي يشبه النار المختبئة تحت رماد الوصف الظاهر، وإذ تبتدئ الرواية بقولها "لم تمتلك الجزيرة سحرا خاصا بها، كأنها ليست تلك الصخرة الحمراء التي تراكم خيوط الشمس منذ الشروق.. من الشرق تنحدر بشدة نحو الميناء، ومن الغرب تهبط ببطء لتشكل وادياً قاحلاً مليئاً بالحصى.. من بعيد تبدو شامخة كبرج منارة طبيعية تحرس السفوح المغطاة بالشجيرات الصغيرة والأشواك"، لكن روسا يغاس إلى جانب هذه البدايات تورد عبارات لجوزيف كونراد، تكاد تكون مستوحاة من اللحم الحي للرواية تقول: "أيمكن لرسل الحب الأول أن تهدأ وتستقصي، وتتحول إلى شك بارد في المستقبل من خلال اقتباسات بائسة، وأنا أضع قدمي على شاطئ

البحر، وفيما أنا موشك على معانقة حلمي أزرق العينين، ما الذي يمكن لتحذير حسن النية من إفساد حياة الإنسان، ما الذي يمكن أن يعنيه لعواطفي الشابة؟"

تغوص المؤلفة في وصف التفاصيل النفسية للأبطال، وتتعمق أكثر في شخصية "أندريا" و"مارتن" إنها العلاقة الشائكة والأكثر غموضا في الرواية، تصف الكاتبة علاقة "أندريا بالبحر قائلة" كانت قد ولدت بالقرب من البحر، من بلد بجانب البحر، من يعتمد في سيره على خط الأفق الأزرق، يشعر بالضياع متى غار بعيدا في اليابسة". فيما تتحدث عن "مارتن" بقولها "لم يكن مارتن يحب البحر، ومع ذلك هو يبحر معهم منذ أكثر من أسبوع وبصعوبة يتمكن من إخفاء ضيقه".

تقسم الكاتبة روايتها إلى فصول مرقمة لكنها لا تضع عناوين فرعية صغيرة وبذلك تمنح للسرد إمكانية الاستمرار في إعطاء الصوت الرئيسي للراوي الخارجي، وبذلك تبتعد عن إعطاء أبطالها فرصة للكلام عن ذواتهم وإغراق النص في الذاتية، بل تكتفي روسا يغاس في عرض هواجسهم الداخلية بكل ما فيها من مناطق مظلمة في النفس. "أندريا" تختلط عندها مشاعر الغيرة والحب والرغبة، ويختتم النص بلا أي إيضاح كاف لعلاقتها مع "ليوناردوس"، في حين يعيش "مارتن "حالة من الاضطراب من جراء شكوكه "باندريا" ولا تتوانى الكاتبة عن التلميح لانجذاب خفي بين "مارتن" و"تشيكي".

عبر الوصف الخارجي للمكان، تسرد الكاتبة أيضا كينونة العلاقات لركاب السفينة الخمسة "ليوناردوس"، "مارتين"، "أندريا"، "توم"، و"تشيكي".

"ليوناردوس" مالك السفينة، رجل دائم السفر، يتنقل من مدينة إلى أخرى، ومن فندق إلى آخر وإلى جانبه دوما امرأة يغيرها كل سفرة، ويصطحب معه في هذه المرة "تشيكي"، وهي فتاة شابة ليس لها دور على مدار أحداث الرواية إلا أنها الكائن الذي يدفع سُحب الغيرة بقوة غير عادية إلى قلب "أندريا" بطلة الرواية، أندريا تجاوزت الأربعين بسنوات، وبدأت شمس الشباب بالأفول عنها، لذا تسبب لها رؤية تشيكي إحساسا مضخما بالمرارة، خاصة أن "مارتين" الحبيب الذي هجرت حياتها وأطفالها من أجله يصغرها بعشر سنوات، وتؤكد الكاتبة على هذه الغيرة برصد نفسي دقيق لحالة "أندريا". تقول: "كانت أندريا تتأملها مطاوعة وهي تبتسم، وربما كانت نظرتها موجهة لليوناردوس أكثر منها لـ "تشيكي" في نظرتها جفاء وغموض أدركه "مارتين" سريعاً.

تقول أيضا "لم تكن تجرؤ أبداً على ارتداء حذاء جلدي أسود في الصيف بدون جوارب، ولا حتى حمل حقيبة زاهية معلقة من الكتف، ومتجاوزة ركبتها كانت تفعل ذلك مدفوعة بغيرة سببها تنافس مع "تشيكي"، والذي بدأته منذ ما يزيد على أسبوع، رغم أنها فتاة تصغرها بما يزيد على عشرين عاما". كما يوجد على السفينة أيضاً "توم" الشاب الدنماركي الذي تعاقد معه "ليوناردوس" للعمل لإحدى الصفقات

العملية. أما مارتين فيرتبط مع "ليوناردوس" في علاقة عمل إذ تم التعارف بينهما في منزل "أندريا" قبل سنوات، لذا فقد تعاقد "ليوناردوس" مع "مارتين" لتنفيذ عدة أفلام ومسلسلات.

تتصاعد في الشطر الثاني من الرواية ذروة الصراع النفسي عند "مارتن" في موقفه من "أندريا"، يشكل هربها من إسبانيا وقدومها للحياة معه في نيويورك هاجسا يظل يبحث له عن تفسير ليظل غامضاً لا يصل إلى تفاصيله ومنتهاه، إذ لا تقدم له "أندريا" إجابات مقنعة وتفسيرا واقعياً لرحيلها عن أسرتها. يتساءل "مارتن" وسط هواجسه "من يعرف الحقيقة؟ ربما يكون العالم بأجمعه، ربما لست سوى مهرج يصفق له كيلا يدرك وسط عبثيته ما الذي يجري ليواصل القيام بالدور الذي فصل له دون أن يعرف، لا نعرف أبداً ما الذي نشكله نحن بالنسبة للآخرين، وما الثوب الذي نخيطه لأنفسنا بين الجميع حتى نعزز الصورة التي نسير عليها ونعيش فيها من دون أن نفهم ما حقيقة شخصيتنا".

لكن هواجس "مارتن" يضاعفها أيضا علاقة "أندريا" مع "ليوناردوس" الذي يستمر حضوره في حياتها بشكل قوي بعد أن هجرت بيتها وزوجها، لكنها تستمر في التواصل معه، وكان هذا التواصل من الأسباب الرئيسية لتصاعد حدة التوتر في العلاقة بين "مارتن" و"أندريا" تقول الكاتبة: "هل ستشعر أندريا بالحنين لما ضاع منها للأصدقاء للذكريات، ومن بعد ستموت ويبتلعها البحر، ستغدو طعاما للأسماك، من تلك المرأة الكاذبة، والعاشقة، إنها هي بعمقها الغامض".

يشكل الحدث الأخير في النص لحظة سقوط أندريا في البحر، حدثاً محورياً يتراوح ما بين محاولة الانتحار في لحظة يأس بعد مشاجرتها مع "مارتن"، لحظة وعي تلقي ظلالها على الأشياء والأشخاص، حيث يتكون فعل اليقظة عند الأبطال، حين يعي "مارتن" أنه لا يمكنه الحياة من دون "أندريا" ملقياً بظلال شكوكه بعيداً. تقول في الجمل الأخيرة من الرواية "وبهذه الطريقة فقط يمكنهما الاستمرار معاً موحدين حتى النهاية، لتضيع أصواتهما وسط هدير ألم الحقيقة".

وإن كانت "أزرق" رواية عن العشق الغامض؛ فإنها في نسيجها الروائي تبني هيكلها على التساؤلات الداخلية، وعلى المزاوجة بين الإنسان والطبيعة، بين البحر والحلم، بين القلق والحب .

– أزرق، روسا ريغاس، ترجمة: ملك صهيوني، دار ورد ، دمشق ، ٢٠٠٢

"آرثر غولدن يكشف النقاب عن أسرار حياة" جيشا

كتاب آرثر غولدن الذي حمل عنوان "جيشا" وصدر في العام ١٩٩٧، وترجم إلى العربية في العام ٢٠٠١ اعتبر من أكثر الكتب رواجاً على المستوى العالمي.

يستند المؤلف بشكل جزئي إلى المعلومات التي حصل عليها من ايواساكي (جيشا)، وهي راقصة ومغنية يابانية معتزلة تعيش حياة هادئة مع زوجها وابنتها في إحدى ضواحي كيوتو في اليابان، وقد زارها المؤلف وطلب اليها مساعدته في التحضير لرواية تتناول حياة فتيات جيشا، كي ينقل صورة حقيقية وواقعية عن مهنتها، مما شجعها على استضافته في منزلها مدة أسبوعين، كشفت النقاب خلالهما عن أدق التفصيلات الحميمة التي عرفتها كجيشا.

(١)

اعترف غولدن في نهاية النسخة الإنكليزية من الرواية بالمعروف الذي أسدته ايواساكي إليه قائلاً: "إني أدين بفضل كبير لمينيكو ايواساكي، التي أجابت بصبر وتفصيل شديد عن جميع أسئلتي المتعلّقة بطقوس حياة جيشا".

لكن ايواساكي تؤكد الآن أنها تشعر بالأسف لإفشائها قصتها إلى غولدن، خصوصاً أنه استخدم اسمها على الرغم من التعهد الذي قطعه حسب ادعائها بإبقاء هويتها سرية، وبالتالي فقد شوه سمعتها في مجتمعها الذي حافظ لقرون عدة على سرية مطلقة بشأن ما يجري في داخله، لذلك فقد طالبته من خلال الدعوى القضائية التي رفعتها عليه بحصة من أرباح الكتاب.

أما غولدن فقد صرح مؤكداً أن (ايواساكي) لم تطلب إليه مطلقاً الحفاظ على سرية هويتها، وأعلن أنها كانت سعيدة لاقتران اسمها بالكتاب، بل إنها ذهبت أبعد من ذلك، فطلبت إليه أن يحضر لها جولة دعائية لترويج الكتاب في الولايات المتحدة، وبناء على طلبها حذف غولدن اسم (ايواساكي) من النسخة اليابانية.

ويصر آرثر غولدن أن الكتاب لا يستند فقط إلى حياة (ايواساكي)، مؤكداً أن الشخصية الأساسية هي مزيج من فتيات جيشا اللواتي التقى بهن، وأشار الروائي الأميركي إلى أن أحداث قصته تدور في الفترة التي سبقت الحرب العالمية الثانية، حين كانت "صناعة" جيشا تختلف جداً مما هي عليه اليوم.

أثارت الرواية موجة سخط عارمة في عالم جيشا المغلق والمحب للتكتّم، إذ تتخوّف أوساط هذا المجتمع من أن يؤدي الجدل القائم حول الكتاب إلى تلويث سمعة هذه المهنة، وتعزيز النظرة الغربية التي ترى في جيشا امرأة من مستوى متدنٍ.

وعلى الرغم من أن كتاب غولدن خيالي لا يقدم الكثير من المعلومات الجديدة، فإن الكثيرات في مجتمع جيشا وجدن الرواية مزعجة لأنها مكتوبة بصيغة المتكلم، كما أن حبكتها محكمة، مما يجعل القراء يحملونها محمل الجد، وقد انعكست ردة الفعل السلبية على ايواساكي نفسها، التي اتهمت من قبل زميلات سابقات لها في العمل بأنها دخيلة على المهنة، لأنها تجرأت وفضحت أسرار العلاقات الجنسية.

واعتبر غولدن أن مجتمع جيشا لم يكن منصفاً في تحامله على ايواساكي يقول: "إنها لم تزودني بأيّ معلومات منافية للياقة، وأنا أشعر بشيء من الفخر، لأن القراء ينظرون إلى الكتاب على أنه بيان ينطوي على حقائق دامغة، لكن الحقيقة ليست كذلك لأن ما أثار هذا الجدل الواسع ليس إلا الرواية".

(٢)

بطلة "جيشا" هي سايوري، وهي ابنة صياد سمك بسيط باعها وهي لم تتجاوز التاسعة من عمرها إلى بيت اللذة في كيوتو، وسرعان ما فهمت تلك الفتاة الصغيرة ذات الملامح المميّزة، كيف تستفيد من تلك الطقوس والأجواء التي تعيش في وسطها، فأخذت تغرف من العلوم التي تجعل منها جيشاً حقيقة: فنون الزينة وتصفيف الشعر، وطقوس تقديم الشاي الأخضر، وعلوم الغناء والرقص والحب.

شيئاً فشيئاً، أخذت سايوري ترتقي إلى مصاف جيشاوات الأكثر شهرة في تلك المدينة، وأخذ الأغنياء وأهل السلطة يتنازعون لكسب ودها، واستطاعت أن تنتصر على أحقاد غريمة لها وتحظى بمكانة رفيعة

في مهنتها، تقول: "في الاحتفالات الكبيرة في جيون، كنا نقابل فنانين مشهورين رسامين وكتاباً وممثلي كابوكي، وبالإضافة إلى هذه الاحتفالات والرحلات، كنت أتابع دروسي وأرقص على المسرح في معظم الأحيان، بعد سنتين لم أعد متدربة وصرت جيشا، وكنت في الثامنة عشرة من عمري".

(٣)

تبدو هذه الرواية المكتوبة على شكل مذكرات تجمع مجموعة حكايا دقيقة وغير عادية، إذ يتابع الكاتب بحذق التنقل في مسيرة حياة جيشا في مختلف مراحل حياتها، مع مراعاته بدقة لذكر خطوات تطوّرها في عوالم جيشا الغرائبية التي تمزج الإثارة بالانحراف، القسوة بالترف، والإغراء بالغموض والأهم من هذا أنها تكشف أيضاً مدى السلطة الذكورية.

ومن خلال سرد بطلة الرواية (سايوري)، يتطرق المؤلف إلى حكايا مختلفة عن جيشاوات، وعن علاقتهن مع رجال السلطة، وتصف الرواية براعتهن في فنون الموسيقى والرقص والألعاب والمحادثة، وغالباً ما تقوم بين الزبائن والفتيات الأنيقات منهن علاقات طويلة الأمد تتطوّر أحياناً إلى علاقات جنسية، لكن فتيات جيشا يتبعن ميثاقاً غير مكتوب يملي عليهن بأن يبقين كل ما يجري داخل مراكز التسلية طي الكتمان .

- آرثر غولدن
- جيشا دار ورد / دمشق-٢٠٠ آرثر غولدن

الرحلة إلى الشرق.. تكشف عوالم الشرق الخفية



"الرحلة إلى الشرق" عنوان رواية لهرمان هسه يلخص تجربة حياتية معاشه في البحث عن روح الشرق الحقيقية، في عالم غرائبي يمزج السحر الشرقي وخرافاته وأساطيره مع التغيرات النفسية والروحية التي تطرأ على أبطال الحكاية، من جراء اقتحامهم لعالم يختلف تماماً عما ألفوا الحياة فيه، وليس بمستغرب على هرمان هسه الحائز على جائزة نوبل للآداب في عام ١٩٦٢ أن يقتحم عالم الروح بكل تناقضاته المثيرة، إذ كان "هسه" على صلة وثيقة بعالم الهند، وتأثر بالفلسفات الشرقية، وحين سُئل مرة عن أهم المؤثرات في حياته قال إنه "روح بيت أبوي المسيحية، واللاوطنية أبدا" و"قراءة الروائع الصينية" و"شخصية المؤرخ جاكوب بركهاردت".

(١)

قليلون هم الكتاب الذين أرخوا بهذا الوضوح النزيه، وبهذه الأمانة الجسور لتطور الروح عبر مراحل الحياة، وقد كتب "هسه" عدة روايات عالجت هذه الفكرة منها: بيتر كامينتد (١٩٠٤) دميان

(١٩١٩) وسدهارتا (١٩٢٢) وذئب السهوب(١٩٧٢) ونرسيس وغولد موند(١٩٣٠) والرحلة إلى الشرق(١٩٣٢) وهي صيغ مختلفة لسيرة ذاتية روحية، ومصورات متنوعة لطريق جواني واحد، فكل خطوة جديدة تنقح صورة الخطوات السابقة كلها، وكل تجربة تفتح عوالم جديدة من الاستكشاف في جهد مستمر للتواصل والرؤيا.

في رواية "الرحلة إلى الشرق" يقدم "هسه" عبر بطل الرواية حكاية الرحلة اللامعقولة التي قام بها مجموعة من الأفراد إلى الشرق، وما تخلل ذلك من أيام استثنائية في مصاعبها وروعتها. بطل الحكاية (هـ. هـ) الذي يقوم بعملية السرد يتخذ في الرواية دور المؤرخ للرحلة، إذ لم يبق سواه حياً من "الرابطة" التي اتجهت إلى الشرق، لذا عليه وضع مخطط تاريخي للكتابة عن الرحلة إلى الشرق يقول:" في البدء بدا لي أنني ألتزم بمهمة عسيرة باسم قضية نبيلة.. لكنني أرى بالتدريج أنني من خلال وصفي لرحلتي لم أكن أهدف إلا لإنقاذ حياتي بإعطائها معني جديداً". يركز بطل الرواية على فعل الكتابة، إذ مثل لديه ذاكرة الأمم الحية، ومرآة واضحة وعاكسة تكشف خفايا المعاني، وتجلو الحقائق حتى كأننا نرى المتخيل في صورة الحقيقة، والغائب كأنه حاضر أمام أعيننا.

(٢)

ويتضافر فعل الكتابة مع تطور الروح وارتقائها عن مظاهر المادة بحثاً عن الانعتاق والخلاص، لتتكون من هذه التفاعلات صورة مؤثرة ومنسقة تخدم الجو العام للرواية، والذي أراده الكاتب شفافاً يعكس أدق

التفـصيلات الروحيـة بكـل اختلاجاتهـا وتجلياتهـا الحميمـة المألوفـة، والغريبـة، والتي تبـدو للإنسان العادي عـابرة وغير ملحوظـة، لكنهـا ذات دلالات رمزية سامية، تشير لحالة من الاغتسال الداخلي والتطهر من كـل الـذنوب والخطايـا يقـول: "صـرت الآن أتقبـل سـاعات اليـأس كمـا يتقبـل المرء الألم الجسدي الحاد، يتحمله وهو يتذمر أو يصبر يحس المرء به يكبـر ويتزايـد ويكـون هنـاك أحيانـاً فـضول هـائج أو سـاخر، حـول المـدى الذي سيصل إليه وإلى أي مدى يمكن أن يزداد الألم".

تجسد شخصية البطل في الرواية دور الكاتب العظيم الذي يرى نفسه مضطراً لنقل الرسالة إلى كلمات، والرسالة هي طبعاً حولنا وفينا في كـل وقـت وكـل شـيء يتـضمن الرسـالة كلهـا، ولـيس ضـرورياً التعبيـر عنهـا بـالرموز، ولكـن لعلـه يكـون أعظـم إنجـاز يحققـه الإنـسان أن يـتمم تأملـه بالكتابـة النقيـة النابعـة مـن جـوهر الـروح وهلوسـاتها التـي تتـضمن المعنـى الـسري والجـذري المتخفـي وراء شـبكة مـن الخيـالات المـشفرة، ويُظهـر هرمان هسه في روايته بأن بطله يقصد الشرق على اعتبار أنه وطن الروح وشبابها. فبطل الرواية (هـ. هـ) ومجموعة من أصدقائه القاطنين في جنوبي ألمانيـا وسويـسرا، يقـررون القيـام بالرحلـة إلـى الـشرق لكنهـا ليـست مجـرد نزهـة أو بحثـاً عـن مكـان جغرافـي مختلـف بـل هنـاك مـا وراء ذلـك، حيـث الرحيـل إلـى الـشرق يـؤدي إلـى وحـدة الأزمنـة كلهـا فـي مخيلـتهم وفـي عـوالمهم الباطنيــة، إنــه الــشرق الملــيء بالأســرار، ومفــاتيح الحقيقــة التاريخية.

بيد أن هذه الجماعة التي يلقبها الراوي "بالرابطة تحمل في باطنها سعي المؤمنين والحواريين المتجهين نحو الشرق على أنه موطن النور والحج.. لكن النزعة المادية تتجاذب البطل (هـ.هـ) فنجده يعود إلى عقله وإلى منظوره الذاتي يقول: " تلاشي السحر شيئا فشيئا، أنا كنتُ أريد أن أكتب قصة الرابطة، أنا الذي لم أكن أستطيع أن أحلل أو أفهم جزءا من الألف من هذه الملايين من الوثائق والكتب والصور والمراجع التي في الأرشيف". هنا يظهر التناقض الواقعي الحتمي الذي ينسج البشر، ويوقد في مكنوناتهم الصراع الدائم بين الروح والمادة.

لقد تحولت الرحلة عند بطل الرواية من بحث عن روح الزمن المفقود والمرجو إيجاده في روح الشرق موطن الديانات والأنبياء، إلى مادة كتابية يرجو من خلالها تدوين هذه الرحلة والتأريخ لها ليثبت لذاته وللآخرين إنه استطاع إنجاز فعل ما ينقذه من حالة التشظي والضياع الداخلي، وإلى جانب هذا الفقد المعنوي الذي طفحت به الرواية ونتج عنه تفرق الرابطة، فقد سبق ذاك الحدث غياب الخادم "ليون" الذي يعول عليه البطل كثيراً، ويربط بين غيابه وتشتت المجموعة، إذ لم يدركوا أهمية ليون إلا بعد فراقه عنهم، ورحيله بلا عودة يقول: "الكلمات ظلت في ذاكرتي، وتركت لدي شعوراً بأن ليون هذا كان يعرف كل أنواع الأشياء، وأنه كان يعرف أكثر منا نحن الذين كنا سادته ظاهرياً. تحمل كلمة" ظاهريا" تلخيصا مبطناً للعلاقة بين الرابطة والخادم ليون الذي يتفوه بالحكم والعظات، دون أن يبالوا بعبارته إلا بعد أن فقدوه تماماً، يكشف هرمان هسه من خلال هذا الحدث الذي يبدو بسيطاً في

مدلولاته التركيبة النفسية لأفراد المجموعة حيث راح كل منهم يتخيل ضياع أشيائه أو فقدانها نتيجة هرب ليون مما بث الشك بين الأفراد، وياللخجل عقب اكتشاف وجود الأشياء المفقودة وأن ليون لم يسرق أي غرض مهما كان ثمينا.

(٣)

رواية "الرحلة إلى الشرق" تركز على الباطن، على الدواخل النفسية للأفراد، في لغة سلسة بعيدة عن تعقيد المفرادات النفسية والعلمية يكتب هسه، روايته بسهولة وبلا تكلف مدخلاً الجوهر الداخلي مع التعابير الصوفية والطاقات الذهنية، محرضاً القارئ على الرحيل في عوالمه الباطنية بغية الكشف عما يضج فيها مبرراً ذلك بقوله: "إن اللهب موجود دائما بلا شك في داخلنا وخارجنا، يحيط بنا ويجعلنا نظل أحياء، مهمتنا الوحيدة أن نظل مؤلفين" .

– رحلة إلى الشرق ، هرمان هسه ، ترجمة: ممدوح عدوان ، دار ورد ، دمشق ، ٢٠٠٣

ساحرة بورتوبيللو" ورحلة الحج إلى الداخل



في الوقت الذي يغرق الغرب في ماديته ويميل نحو الوقائع الملموسة والأكثر حسية سواء في الحياة المعاشة أو عبر الكتابة ، يظهر نمطا آخر من الكتابة يتبنى تيارا مغايرا.

إنه التيار الذي يبحث بديمومة عما وراء المظاهر المادية للعالم ويعتبر الكاتب البرازيلي "باولو كويلو" ضمن هؤلاء القلة الذين يفسحون المجال للبحث في روحانية الكون عبر الانسحاب من الغرق في التفاصيل الحسية للواقع وتفريغ مساحات شاسعة لحلول الإيمان الراسخ بوجود عوالم أخرى أكثر قوة وثباتا، هذه العوالم التي تساعد الإنسان على إعادة اكتشاف ذاته، وهذا ما يؤكده كويلو في أحد حواراته قائلا: "إيماني عميق بأننا نختبر التحول على الدوام. لهذا نحن في حاجة لأن ندع الحياة تقودنا إلى السرّ عوضاً عن أن ندفعها باتجاهه.

"كويلو الذي عرفه القارئ العربي عبر روايته الأشهر "الخيميائي" والتي ترجمت أيضا تحت عنوان "ساحر الصحراء" التي تناول من خلالها عبر بطله الذي يسافر للبحث عن الكنز في مصر عوالم "الداخل الروحانية" التي تنقل تفكير الإنسان من جانب إلى آخر، وتساعده على الولوج إلى مناطق معتمة من ذاته، حيث الكنز مدفون في أعماق روحه.

هذه العوالم موجودة أيضا في رواية "حاج كومبستيلا" التي يحكي فيها عن تجربته في الحج إلى مزار يعقوب.

كويلو الذي يصف شخصيات رواياته بالقول: "كل الشخصيات في رواياتي تخوض رحلة البحث عن روحها"، يتضح هذا البحث بشكل جلي في سائر رواياته أيضا كما في "فيرونيكا تقرر أن تموت" و"إحدى عشر دقيقة"، "على نهر بيدرا جلست وبكيت"، ثم تدور أحداث رواية "ساحرة بورتوبيللو" بين دبي وبيروت ثم لندن، وهذه هي المرة الثانية التي يعود "كويلو" إلى الشرق في كتابته بعد أن كتب عن مصر في رواية "الخيميائي".

أما أسباب اختياره لمدينتي بيروت ودبي فيبررها بقوله: "إن مدينتي بيروت ودبي مدينتان مذهلتان، ما يجذبني إليهما ليس بالضرورة ما قلته عن سمعة الفوضى والصخب أو الانفتاح والتضاد، بل نواحيهما الأخرى المختلفة جداً.. بيروت بالنسبة إليّ مدينة في صراع مستمر، وأنا مثلها أعيش الحالة ذاتها.

أما دبي، فهي إحدى أكثر المدن التي لفتتني معاصرة وتطوّراً. تتحدّى دبي زائرها بالصحراء والبحر اللذين يحيطان بها، فتبدو وكأنها المعجزة التي لن تستحيل حقيقة والتي لن يفهمها أحد.المدنُ تشبه الناس، بيروت ودبي لهما مزاجهما وأسلوبهما الخاص وطريقتهما في مواجهة الحياة إنهما تفرضان نفسيهما في رواياتي هناك دائماً مدينة ما تلوح في مكان ما من عقلي حين أشرع في كتابة قصة أو ابتكار

شخصية. ولكن مع أنني أحب المدن، فأنا أشعر بالحاجة إلى إبعاد شخصياتي عنها، فالصحاري والغابات والجبال تأتي لتشكّل أمكنة موازية لهذه العواصم ، وهذه المساحات الفارغة المشرّعة على التأمل تحضّ أبطال رواياتي على مواجهة أنفسهم".

لكن هذا التأثر بالثقافة العربية الذي لا يخفيه كويلو، يعود إلى أكثر من سبب، ربما من ضمن الأسباب أن هذه الثقافة فيها الكثير من الأجواء والروحانية التي يفضلها كويلو، ويستند اليها في نصوصه، ولعل هذا الأمر واضح جدا في كتابته وهو لا يخفيه بل يوضحه قائلا في أحد حواراته: "الثقافة العربية: منحتني نظرة أخرى إلى الحياة، مزيدا من الانفتاح ربما لأنها ثقافة قريبة من الصحراء، فهي تساعد على تبسيط الأمور من دون الوقوع في فخ التسطيح، منذ بدأت احتكاكي بالثقافة العربية بدأ الإلهام يأتيني بسهولة الثقافة العربية تقيم اعتبارا كبيرا للأمور الخفية، لما هو غامض وسري.. أنا ككاتب أحتاج إلى مثل هذه الرؤية المخالفة.. إلى مثل هذا الفضاء.

في رواية "ساحرة بورتوبيللو" يروي كويلو قصة "أثينا" الطفلة الغجرية التي تعيش في ميتم ثم تتبناها أسرة لبنانية وتعيش سنوات طفولتها في بيروت قبيل الحرب. تظهر عند أثينا قدرات تنبؤية في معرفتها بعدة أحداث قبل وقوعها، ثم تبدأ رحلة "أثينا"في البحث عن ذاتها، يتخلل ذلك زواجها من شاب صغير زميلها في الدراسة، وإنجابها منه طفل، ثم انفصالهما، وإصرارها على الاحتفاظ بالطفل ورعايته.

تبدو رحلة "أثينا" في البحث عن ذاتها رحلة شاقة تبدأ منذ لحظة طلاقها عن زوجها، وتحديها للكنيسة، ثم الانتقال إلى دبي للعمل هناك، حيث تلتقي بأشخاص آخرين يؤدون دورهم في هذه المسيرة، هناك "نبيل الأيهي" الرجل البدوي الذي يعلمها كتابة الخط العربي، ثم هناك "بافيل بودبيسكي" جارها مالك الشقة الذي يفسح في داخلها مساحة لاستيعاب ماهية العلاقة الداخلية مع فعل "الرقص" والموسيقى، الرقص الذي يطلق طاقات الإنسان الكامنة داخله والتي يجهل وجودها تماما، تقول أثينا: "كثيرا ما استخدمت الرقص كوسيلة اتصال بشيء أقوى وأكثر اقتدارا مني" لكن في كل هذه الاكتشافات لم تجد "أثينا" ما تبحث عنه، كانت الطاقة التي تنبعث منها أكثر إشعاعا من محدودية الفنون التي مارستها سواء كان في الرقص أو الخط.

اختار كويلو في كتابة رواية "ساحرة بورتوبيللو" القص عبر لسان أشخاص عدة، لكن جميع هؤلاء الأشخاص يدورون في حكاياتهم حول محور واحد هو "أثينا"، جميعهم ارتبطوا معها بعلاقة ما، سميرة والدتها بالتبني، لوكاس زوج "أثينا"، هيرون راين صحافي وارتبط مع أثينا" بقصة حب من طرف واحد،ديرو أونويل طبيبة وصديقة "أثينا" في عالم الاكتشافات الروحانية، الأب جيانكارو فونتانا، أندريا ماك كاين تعمل في التمثيل المسرحي، أنطوان لوكادور مؤرخ، هناك أيضا بعض الشخصيات الجانبية التي أوكل اليها الكاتب جزءا بسيطا من عملية القص. تقول إدا في وصف شخصية "أثينا": "مشكلة أثينا أنها امرأة من القرن الثاني والعشرين تحيا في القرن الحادي والعشرين من دون أن تتستر على هذا

الواقع. هل دفعت الثمن؟ بالتأكيد دفعت. لكنها كانت لتدفع ثمنا أغلى لو أنها قمعت نفسها الأثيرة الحقيقية.كانت لتشعر بالقلق والمرارة والأحباط". أما هيرون راين الصحفي فيقول: "الناس يوجدون واقعا ليصبحوا من بعده ضحايا لهذا الواقع الذي أوجدوه.

أثينا تمردت على هذه الحقيقة ودفعت الثمن غاليا" يمثل الثلث الأخير من الرواية التصاعد الحدثي فيها، حين تبدأ "أثينا _ "أو "شيرين خليل" وهذا هو الاسم العربي لها الذي اختارته عائلتها بالتبني _ بممارسة طقوس ظهور "الأم الكونية" عبرها، أو "آيا صوفيا"، يتجلى هذ الظهور في البداية مع الفرقة المسرحية في المسرح أولا ثم في بيت "أثينا"حيث تبدأ "أثينا" في ممارسة قدرتها التنبؤية الخارقة،والحديث عن أشياء مجهولة في حياة الأشخاص، تنبيههم من ضرر، أو تحذيرهم من مرض ما، أو الحديث عموما عن طاقة الحب الكوني، لكن سرعان ما ينتشر الخبر ويذاع بين الناس في منطقة "بورتوبيللو" في لندن عن وجود ساحرة لها قدرات خارقة ومعجزات، هذا الحدث الذي سبقه التطور الملحوظ في سلوك "أثينا" وحواراتها مع الأشخاص، في التعبير عن رؤيتها للعالم ومحاولة إيصال هذه الرؤية إلى الناس كأن تقول في أحد حواراتها مع أندريا: "أبقى شبه واعية طوال الحالة، لكنني أقول أشياء منبعثة من جزء مجهول بي. كما لو أنني أرضع من ثدي الأم حليبا يتدفق في كل النفوس ويحمل المعرفة إلى كل الأرض".

يختتم كويلو روايته بأسلوب بوليسي متصاعد وشيق، عبر لجوئه إلى حيلة موت "أثينا" أو على الأصح الأدعاء بأنها ماتت قتلا على يد

عصابة دينية مجولة وجدت فيما تقوله هرطقات وجب التخلص منها، لكن هذا الحدث يكون مجرد ادعاء للقيام بهروب "أثينا" إلى منطقة مجهولة، والبدء بحياة جديدة هناك بعد أن ذاع سر قدراتها الخارقة في لندن وتعرضت لصعوبات وجب عليها الفرار منها.

إن غاية كويلو في هذه الرواية التركيز على ماهية "الحب"، الحب الكوني الذي ينبعث من الأرض ويغمر العالم، "الحب" الذي يفيض كالنهر المتدفق لكننا لا نبصر ماءه العذب. إن هذه الطاقة الكبيرة للمحبة كما يرى كويلو هي الوحيدة التي ستنجد الإنسان من كل الشرور والآثام، وستقوده للسلام الداخلي. يقول في ختام الرواية عبر لسان أحد الشخصيات: "الآن أدري أن الحب يحدث ببساطة" .

– ساحرة بورتيبيللو ، باولو كويليو ، ترجمة: رنا الياس الصيفي ، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ، بيروت ، ٢٠٠٧

مذكرات قاتل .. تأخذ القارئ لدهاليز نفسية



تتميز الروايات القصيرة بقدرتها على الإمتاع، وهذه الميزة من أبرز خصائص "يوميات قاتل عاطفي"، رواية قصيرة برع لويس سبولنيدا في كتابتها وحبكها في إطار درامي مشوق، يرتبط ويتباعد ضمن خيوط متعددة، تُدخلنا القصة مباشرة إلى تفاصيل حياة البطل الذي يعمل كقاتل محترف لمدة تتجاوز خمسة عشر عاماً، مما جعله كفؤاً للقيام بأصعب المهمات وأدقها.

(١)

محور القصة أو الحدث الرئيسي هو مهمته الجديدة التي بدت مختلفة عن سابقاتها، عادة هو يقتل بلا سؤال عن السبب، أو عن الثمرة التي سيقطفها، هو محترف جداً في عمله، لكن هذه المرة بدا الأمر مختلفاً، شيء غريب يشده إلى صاحب الصورة يقول؛ عليّ ألا أفكر في الشخص الذي في الصورة، بيد أني لم أكن أنجح في إخراجه من رأسي، لم أكن أعرف اسمه ولا جنسيته ولا وزنه، إلا أن شيئا ما كان يقول لي إنه من أميركا الجنوبية، وبأن دربينا لسوء الحظ أو لحسنه قد بدآ بالتقارب"ص١٢. تجرى أحداث الرواية في ستة أيام، ينتقل خلالها

البطـل/ القاتـل، مـن مدينـة إلـى أخـرى، مـن بـاريس، إلـى مدريـد، إلـى إسـطنبول، وأخيـرا إلـى المكـسيك، إنـه يتجـول ملاحقـا هدفـه ذو الوجـه الصغير الملفت للنظر، وعليه أن يبدأ بالتآلف معه طالما أنه سينهيه عن هذه الدنيا.

الحبكة تسير بشكل فانتازي واقعي متقن والأشياء ترتبط بصورة متعاكسة، حيث فناء شخص يؤدي إلى ثراء آخر، مع موت الضحية هناك شيك بستة أصفار يُسلم للقاتل المحترف، إنها ثنائية العصر الحديث، هناك دائما من يستفيد من مآسي الآخرين. دراما نفسية القاتل في الرواية لا اسم له ولا شكل محدد في ملامحه النفسيه طابع السخرية والحزن، وبداية لخوف دفين من هاجس العمر بعد أن بلغ السادسة والأربعين من عمـره، لكـن أزمتـه النفـسية تتفـاقم حينمـا يعلـم بـأن عـشيقته الفرنـسية الصغيرة هجرته من أجل رجلٍ آخر، في لحظة ما يقرر قتلها هي وعشيقها الجديد، لكن على القاتل المحترف احترام مهنته، وأن لا يفعل كل ما يحبـه هنـاك شـروط خاصـة لكـل أمـر. تتـصاعد الأحـداث، وكـأن القـدر يتدخل لتصبح الفريسة هي الصياد، والصياد هو الضحية، إن التبادل في الأدوار ولو لوقت قليل يجعل من القاتل المحترف عرضة لنقاش طويل مع نفسه لا ينتهي حتى يطلب منه وسيطه في العمل أن يترك مهنته، وأن ينفذ هذه العملية الأخيرة بهدوء وسلام ويعتزل العمل، يوافق البطل بهدوء لا يعاند ، لا يقاوم بعدما كدنا نعتقد أنه سيرفض.

يبـدو سـبولفيدا الكاتـب ممـسكا بخيـوط روايتـه، ليؤكـد بأنـه سـيد الرواية لا خيالاتنا، ولا قدرتنا ولا رؤى القدر الخاصة، فالتطور الملحوظ

في القصة سواء كان صعوداً باتجاه التوتر والعقدة، أو نزولا نحو الحل والنهاية مروراً بالمفاجآت والتطورات الغريبة يُعد غير تقليدي أبداً إن الكاتب وبطله شخصيتان غير عاديتين مطلقا.

(٢)

البطل يأخذ ملامح الكاتب، والكاتب يتنكر في ثياب بطله، إن سبولفيدا الرحالة الجوال يستفيد من خبراته وتنقلاته ويستغلها في خلق هالة خاصة بالإنسان المتنقل الخبير في الأراضي والبشر، وهذه الصفات تظهر في حديثه عن البلدان والشعوب، وفي ذكره تفاصيل لا يلحظها إلا من كثرت تنقلاته وأسفاره يقول عبر شخصية بطله: "في جميع عواصم العالم هناك فندق يحمل اسم "شيراتون"، وهي كلها فنادق متشابهة، أما موظفو الاستقبال فيها، فيبدون كأنهم خارجون من قالب كوني، ويقولون دائما الشيء ذاته .

بطل الرواية، يبدو متأزما مهزوما بعد خيانة عشيقته مع مكسيكي جميل يوحي القاتل عدة مرات بأنه أميركي لاتيني، وبأن الضحية القادمة مثله من أميركا اللاتينية، ونراه يتوتر من تأثير ألحان وأغاني المارياتشي عليه، مدركا أن خلافه مع ذاته ونقاشه الحاد معها يقودانه للغضب والرهبة، يقول في ديالوج داخلي: "لا أفهمك جئت لترى الزبون، فتأتي أغنية حمقاء لتجعلك تبكي، تقريبا.– لا تتفوه بالحماقات، تعرف أنني أفي بالتزاماتي دائما. – وماذا تنوي أن تفعل الآن، قراءة رواية عاطفية.– ليس هذا عملك القضية هي أني أرغب في معرفة لماذا على قتله". يبدو

حـوارا مميـزا بـين شـخص وذاتـه، فالنقـاش كمـا لـو أنـه بـين شخـصين منفصلين.

هذه الثنائية تجتاحه في كثير من الأحيان وتبعده عن الاحتراف الـذي يميـزه. لكـن هـذا الـصراع الـداخلي بـين الأنـا الأعلـى التـي تمثـل شخصيته كقاتل محترف، وبين الأنا الأضعف التي تجسد ميول الخير في داخلـه، لابـد أن ينتهي سـلبا أو إيجابـا، وإن كـان الجانـب الإيجـابي هنـا يتمثل في عودته إلى رشده وإلى مكانه الأول لينفذ ما تمليه عليه الإرادة العقلية المتمثلة في الأنا الأعلى، إنها الشيء الوحيد الصادق في عالمه فالاحتراف بالنسبة للقاتل المحترف هو ما يجعله مهما وقادراً على القيام بالمستحيل.

(٣)

تتداخل أحداث الرواية بفرادة مميزة، ويتصرف القاتل باحتراف شديد مع عشيقته ومع الرجل الذي تحبه حيث تبدو المفارقة الغريبة أن هذا الرجل هو الضحية المراد قتلها، حبكة غريبة في توحد الهدفين معا لمصلحة القاتل. ولأن الاحتراف هو العامل المحرك في الرواية فالعشيقة تدخل أيضا في دائرة القتل، جريمته يجب أن تظل بلا شهود يقول في الصفحة الأخيرة من الرواية: "كنتُ أحبها، بيد أني لا أستطيع التصرف بغير هذا الشكل، وبخاصة أنها مهمتي الأخيرة كنتُ قاتلا والمحترفون لا يمزجـون العمــل بــالعواطف، حــاول ســبولفيدا أن يرســم ملامــح قاتلــه المحترف بدقه تامة وبأبعاد نفسيه تشمل التفاصيل الصغيرة إن القاتل

المحترف بالنسبة للكثيرين شخص صامت جامد يؤدي عمله بدقه بلا زيادة أو نقصان، آلة جامدة لاروح لها ولا مشاعر، سبولفيدا سعى إلى عكس هذه الصورة إنما في إطارٍ معد ومدروس، القاتل هنا يعشق، يحب، ويحيا كما يريد، لكن في النهاية يرجع إلى قانونه الخاص كقاتل محترف.

شخصيات الرواية لا تحضر أي شخصية فعاله إلى جانب البطل، بل تدور كلها في عالمه، العشيقة الفرنسية وصديقها المكسيكي، الوسيط كلها شخصيات لا وجود لها إلا من خلاله هو، كما أنها تنتهي مع نهاية الرواية التي تظل مفتوحة على حياته التي تتابع ربما كقاتل محترف أيضا... ولم لا، بما أن شريعته الخاصة انتصرت في النهاية؟ إن رواية سبولفيدا التي لم تتجاوز التسعين صفحة متكاملة في بنائها الداخلي، وفي التركيبة السيكولوچية للبطل، وتدعو القارئ إلى عالم جديد مختلف كما لو أنها دليلا سياحيا لآثار نفسية لم تكتشف من قبل .

- مذكرات قاتل عاطفي ، لويس سبولفيدا، ترجمة: إسكندر حبش ، دار الآداب ، بيروت ٢٠٠١



"حفلة التيس".. وسقوط الديكتاتور

"لا يستطيع الديكتاتور الخروج من الحكم إلا ميتاً" هذه العبارة مأخوذة من رواية "حفلة التيس" للروائي ماريو بارغاس يوسا، حين يصف الحاكم رؤيته لفعل خروجه من الحكم في الدومنيكان. ورواية حفلة التيس من الروايات التي تعالج بوضوح فكرة الديكتاتورية المجسدة في حاكم عسكري طاغية مستبد من المستحيل إبعاده عن الحكم بدون أن تجرى أنهاراً من الدماء.. وهذه الرواية تنضم إلى روايات أخرى تناولت شخصية الديكتاتور مثل رواية "خريف البطريرك" لماركيز و"السيد الرئيس" لأستورياس.

(١)

في "حفلة التيس" نتعرف إلى شخصية الديكتاتور "رافائيل ليونيداس تروخيو مولينا" رجل الدومنيكان القوي الزعيم والرئيس المنعم إلى الوطن ومستعبد الاستقلال المالي، فخامة الجنراليمو. وهذه الألقاب التي يحملها رجل واحد يقابلها لقب آخر أطلقه عليه معارضوه وهو "التيس"، استولى الديكتاتور على الحكم في عام ١٩٣٠ وسيطر على ثروات البلاد ووضعها في قبضته، فهو مالك كل شيء في الدومنيكان

ابتداءً من مزارع قصب السكر والبن والنخيل وجوز الهند، مروراً بشركة الطيران، وشركة التأمين، ومصانع تكرير السكر والنفط، وصناعة الخمور.. وأيضاً سلسلة المواخير وتجارة المخدرات. تدور أحداث الرواية حول شخصية ذلك الطاغية الذي يخفي عينيه وراء نظارة سوداء كي يتمتع بمراقبة الجميع وتفحص خبايا ضمائرهم.. ولا تكتفي الرواية بالحديث عن شخصية الديكتاتور، إذ تتطرق من خلاله لتسجيل وقائع اغتياله، ويحتل حدث الاغتيال أكثر من نصف صفحات الرواية ال٤٦٩.

(٢)

أما النصف الآخر من الرواية فيعالج قضايا أخرى تدور في عالم الديكتاتور مثل علاقته مع الأشخاص الذين يعملون معه، وحكاية "أورانيا" ابنه أوغاستين، مُساعده الذي قدم له ابنته كهدية كي يحصل على منصب أعلى، وتكشف حكاية "أورانيا" الكثير من الفضائح السرية عن شخصية الحاكم تقول: "هذا هو الجنراليمو المنعم على الوطن الذي خدمه أبوها طوال ثلاثين عاماً بورع وإخلاص وقدم له ألطف هدية، ابنته ذات الأربعة عشر عاماً كان في السبعين، وكانت في الرابعة عشر، يمسك بيدها كالجد والحفيدة" ص ٤٣٢

غادرت أورانيا البلاد إلى الولايات المتحدة وأمضت ثلاثين عاماً، ثم عادت بعد نهاية حكم الديكتاتور لتكشف عن حقائق مطوية في علاقتها المأساوية معه، إذ كان يتلذذ باختيار فتيات صغيرات وعذراوات فقط ليؤكد على فحولته الكاذبة وهو في السبعين من عمره، فمن خلال

شخصية "أورانيا" تنكشف جوانب أخري من الاضطهاد والظلم المطلق الذي تعرضت له أيضاً فتيات الدومنيكان بسبب نزوات الديكتاتور. يحلل يوسا أيضاً خلال عملية السرد وقائع وتفاصيل خطة اغتيال الجنراليمو حتى لحظة سقوطه وموته، ومن خلال هذا التحليل تبين شخصيات المتآمرين على قتله الذين تجمعهم فكرة قتل الطاغية للاستيلاء على الحكم لا أكثر، إذ لا تظهر عند أيٍ منهم نزعات تحررية أو رغبات في تبديل أنظمة الحكم، مما يؤكد أن القمع لا يفرخ إلا القمع، وعملية قتل الحاكم لم تسفر عن أي تغيير أو تبديل جذري بل قادت إلى تفريخ صراعات جديدة وأكثر حدة وعنفاً يقول عبر أحد الشخصيات: "لن أسمح لك ولا لأي جنرال تافه بأن يخرب ما أنجزته، ستبقى القوات هي المؤسسة النموذجية التي صنعتها حتى لو اضطرني ذلك إلى إدخالك أنت وكل ذوي الزي العسكري التافهين إلى السجن طوال ما تبقى من حياتكم".

(٣)

يرتكز خطاب الرواية على كشف الأنظمة السياسية القائمة على القمع وعلى صناعة الرعب وبثه بين الشعب بغية الحصول على الخضوع الكامل وإزالة أي فكرة مسبقة عن إمكانية التحرر والوصول لحكم ديمقراطي شعبي، ويؤكد هذه الفكرة شخصية قائد الجيش الذي عجز عن اتخاذ القرارات المناسبة بعد موت الحاكم ونراه يتمسك بالنظام، ويحاول حمايته بكل الوسائل، لكن من دون أن يشفع له ذلك ويحميه

من انتقام ابن الجنراليمو الذي ألقى به في السجن وعذبه حتى الموت. رواية "حفلة التيس" تعالج بدقة وحنكة بالغة فكرة الديكتاتورية المطلقة الموجودة منذ فجر التاريخ في كل زمانٍ ومكان، كما وأنه ليس بمستغرب على كتاب أمريكا اللاتينية التطرق لمثل هذه الموضوعات وقد شهدت بلادهم اضطرابات سياسية مازالت أحداثها تحفر تاريخ ذاكرتهم حتى الآن .

– حفلة التيس ، ماريو بارغاس يوسا ، ترجمة : صالح علماني ، دار الهدى ، سوريا ، ٢٠٠٠

"الطيور" و"قصر الجليد".. الهشاشة في مواجهة قوة العالم

غموض الطبيعة بكل سحرها ووحشيتها، الثلج، والبرد، والجليد، والشلال الهادر، وسط هذه الأجواء المفعمة بالغموض كتب تارجي فيساس رواياته.

يعتبر النقاد في أنحاء العالم تارجي فيساس أحد أعظم كتاب النرويج في القرن العشرين، وربما الأعظم منذ الحرب العالمية الثانية وحتى الآن، كما أن فيساس فاز بجائزة الأدب القومي النرويجي، وحصل على جائزة مجلس أدب الشمال، ورشح لجائزة نوبل ثلاث مرات. ومن أهم مؤلفاته روايتي "الطيور" و"قصر الجليد" وقد صدرتا مؤخرا بالعربية عن دار آفاق.

ولعل ما يستوقف القارئ في أعمال فيساس، هو تقديم نماذج من الشخصيات غير مألوفة، وعرض رؤيتها للعالم وطريقة مواجهتها للحياة، نماذج لا تملك أي صلابة أو نضج في مواجهة قسوة العالم، بل إنها أقرب إلى الضعف والهشاشة الفطرية.

في رواية "قصر الجليد" نرى طفلتين غامضتين في الحادية عشرة من عمرهما صديقتين هما (سيس وآن)، تراقبان العالم، وتبحثان عن مسراتهما الخاصة، تلهوان، وتحكيان قصصا عن عائلتيهما، طفلتان

تختزنان وجعا مكبوتا، يتكشف في رغبة سيس أن تبوح إلى آن بسر خطير، لكن البوح لا يتم، حيث تتالى الأحداث في وصف علاقة الطفلتين، وما تتخللها من مناورات وشد وجذب، إلى أن تلاقي سيس حتفها بشكل غامض في قصر الجليد، على الرغم أنه لا يمكن لأي أحد أن يشهد سقوط قصر الجليد الذي تدور حوله القصص والحكايات الخرافية، حيث الحكاية الشائعة عن سقوطه أنه يحدث في الليل بعد أن يذهب الأطفال إلى نومهم، لكن سيس تدخل قصر الجليد، وتختفي فيه، يتهدم قصر الجليد من دون وجود أثر للطفلة سيس التي ترحل مع سرها الغامض.

تبني رواية "الطيور" عالمها المتفرد في المسافة الفاصلة بين عالمي الجنون والوعي التام، مما يؤكد امتلاك تارجي فيساس حساسية فائقة في مقاربة العالم الداخلي لأبطاله. فهو يكتب بعبارات بسيطة وموجزة، تسلط الضوء على الانفعالات الداخلية، بكينوناتها الصغرى سواء في الفرح أو الحزن، أو في الاضطراب أو التلقائية الشديدة في التفاعل مع العالم المعقد أو البسيط، وكل هذا يمكن ربطه بالطبيعة، التي لا تنفصل عن كتابة فيساس، في حضور الطبيعة المتوترة، والقاسية، والحنونة أيضا، يتوازى تماما مع الانفعالات النفسية للأبطال، كما لو أن تلك الطبيعة هي المرآة العاكسة للأحداث في كل تحولاتها وتقلباتها، ثمة ما يتحول ويتغير في الداخل أيضا كما في الخارج.

الطيور

تستمد رواية "الطيور" خصوصيتها من قدرة الكاتب على رسم الحد الفاصل بين العزلة، والجنون، والتملك، والمحبة القصوى. تتألف "الطيور" من " ثلاثة أجزاء، ومن ٤٧ فصلا؛ وتبدأ في وصف يزاوج بين الداخل النفسي، والعالم الخارجي العاصف يقول: "كان الوقت مساء. نظر ماتيس ليرى ما إذا كانت السماء صافية وخالية من الغيوم. قال حينئذ لشقيقته هيج: أنت تحبين البرق"، بعثت الكلمة برعشة في عاموده الفقري، لكنه شعر بالأمان في الوقت ذاته عندما رأى السماء المثالية"

هكذا يتعرف القارئ إلى البطل الرئيس في الرواية، "ماتيس"، وهو رجل في الأربعين يمتلك كل الصفات التي تجعل الآخرين يتهمونه بالتوحد، ويجعل أهالي البلدة يتهمونه بالبله ويلقبونه "بسيمون العبيط". يعيش "ماتيس" مع أخته "هيج" التي تكبره بأعوام ثلاثة في خوخ خشبي بسيط بالقرب من بحيرة، وخلف كوخهما بعد مسافة قليلة تجمع كبير من المزارع. تعمل "هيج" في حياكة منسوجات يدوية، وبيع ما تنتجه كي يعتاشا منه.

لكن بعبارة أكثر دقة وتنسجم مع الواقع الفعلي للبطل يمكن وصف ماتيس بأنه يعاني من صعوبة في تقبل الحياة كرجل كبير ناضج، لذا نراه على مدار الرواية أشبه بطفل صغير، قلبه مفعم ببراءة وسذاجة في التعامل مع كل ما حوله، فهو يعتبر نفسه مصحوبا بضمير سيئ فقط، لأنه عاجز عن العمل مثل الآخرين، وفي ذات الوقت هو شديد

الحساسية لأي نقد بهذا الشأن. وطوال الوقت يدور في داخله مونولوج داخلي حول الأشياء التي يراها ويتأملها، لكنه يخشى أن ينطق بما يفكر به.

يرتبط ماتيس بعلاقة قوية مع الطبيعة ويمضي ساعات وهو يتأمل عند البحيرة، بجانب أشجار الحور والبتولا والسرو، وفي جلسات تأمله الكثيرة تنشأ علاقته مع الطيور، وتأخذ تلك العلاقة بالتشكل رويدا رويدا لتصير كل إشارات الطيور وحركاتها ذات دلالات بالنسبة إلى ماتيس الذي يعتبر أن قدوم طائر "وود كوك" له أهمية قصوى، ويسارع لإبلاغ أخته عن قدوم الطائر، لكن "هيج" لا تبدي أي تفاعل، فيشعر بالخيبة.

تحفل الرواية بحوارات تبدو ساذجة بين ماتيس وأخته، لكنها ذات دلالات كاشفة عن شخصية كل منهما.

لنقرأ هذا الحوار الذي يشي بمدلول الرواية. يقول ماتياس: "ألم تسمعي ما قلت؟ يوجد طائر وودكوك هنا، إنه يطير مباشرة عبر سطح منزلنا.. بينما أنت تجلسين في فراشك".

" بالطبع أنا سمعت. لكن ماذا في ذلك؟ ألا تستطيع أن تترك وودكوك يأتي ويذهب كما يشاء".

لم يفهمها أبدا، كما لو أنها تتكلم بلغة لا يعرفها.

" ألا يعني هذا أي شيء بالنسبة لك؟ هل سمعت من قبل عن وودكوك يغير مساره مثل هذا، ويطير مباشرة فوق رأسك". ص ٣٢.

تتكرر مثل هذه الحوارات على مدار الرواية، وإن كانت لا تمضي في مسار تصاعدي للكشف عن تحولات في شخصية ماتيس، لكنها تكشف رؤيته الدقيقة للعالم، بما يشمل رفضه لأي تغيير، خاصة في انتهاء الرواية في محاولته للإبحار بالقارب الصغير، وعجزه عن الوصول، فيما الريح العاصفة تضرب كل ما يحيط به و"عبر المياه المقفرة بدت صرخته مثل نداء طائر غريب" ص ٢٨٨. هكذا تنتهي الرواية بموت ماتياس في عرض البحر، وكأن الموت هو الخلاص الوحيد لمحنته الكبرى في تقبل عالم النضج.

إلى جانب الطبيعة كعنصر خارجي مؤثر في سرد تارجي يساس، تشترك الروايتان في وقوع الموت كحدث محوري يُنهي حياة الابطال، كما في موت سيس في "قصر الجليد" ومواجهة ماتياس لنهايته في عرض البحر في"الطيور"، وكأن هذه النهايات المأساوية هي الختام الطبيعي لحياة أبطاله .

– "الطيور" و"قصر الجليد" (روايتان)، تارجي فيساس، دار آفاق للنشر والتوزيع، القاهرة ٢٠١٤.



محتويات الكتاب